بنية القصيدة الرثائية في ديوان الشريف المرتضى

الأستاذ المساعد الدكتور
سميه حسنعليان
جمهورية إيران الإسلامية
جامعة إصفهان – كلية اللغات الأجنبية
shassanalian@yahoo.com

الملخص:

لا يخامرنا شك في أن الإنسان يهرب من واقع الموت الذي لا بد منه دوما ، وهذا ليس بجديد ، بل بدأ هذا الهرب من بداية الخليقة ، وقليلون جدا من يجدون الصبر والصلابة أمام موت أحد الأقرباء أو الأعزاء على قلوبهم ، فالإنسان يتألم أمام الموت ويفتقد من مات ويحزن لفقده ويعدد مناقبه ومزاياه ، والشعراء بوصفهم أناس ذوي طبائع حساسة ومشاعر رقيقة وأشد الناس انفعالا يقفون أمام الموت بوصفه مأساة إنسانية ويرثون أحباءهم وأقاربهم وكل من كان عزيزا عليهم ، ولايختلف شاعر عن شاعر في هذا المضمار ، ولذلك لانستثني الشاعر العربي الشهير الشريف المرتضى من هذا الأمر.

من هذا المنطلق يستهدف هذا البحث إلى دراسة القصائد الرثائية في ديوان هذا الشاعر العالم من الناحية الموضوعية والفنية (لغة وأسلوبا) مستخدمين المنهج الوصفي ـ التحليلي في هذه الدراسة .

لقد ظهر من خلال البحث أن قصائد الرثاء بأنواعها تحتل حيزا كبيرا من ديوان الشاعر وحظي الرثاء منها بالنصيب الأوفر من التعزية فضلا عن إهتمام الشاعر برثاء بعض الحكام في الدولة وبعض الرؤساء والأصدقاء ، وبعضا من أعضاء أسرته كوالده ووالدته ، وخص أهل البيت (عليهم السلام) وبخاصة الإمام الحسين (عليه السلام) برثائه في ١٤ عشرة قصيدة رثاء شعرية .

وعدد الشاعر في أغلب مرثياته المزايا الخلقية للفقيد الذي يرثيه مشيرا إلى نسبه متطرقا الى مكانته في حياة الشاعر وفي المجتمع أيضا ، إلا أن العاطفة الوقادة للشاعر

تجيش عند رثائه لأهله ، إذ ينجرف وراء قلبه فيصف ألمه وإحساسه بالعذاب لغياب من يرثيه ، أما في رثائه لأهل البيت (عليهم السلام) فقد كان صادق اللهجة وقاد العاطفة متألما لما حلّ بأهل البيت (عليهم السلام) من المصائب ، وبخاصة عند رثائه الإمام الحسين (عليه السلام) إذ يصف ما حلّ بأهل البيت (عليهم السلام) من أهوال ومصائب عظمى في يوم الطف .

أما في رثاءه للحكام ورؤساء الديوان فإنه يقترب كثيرا من العقل والمنطق مذكرا سامعيه على أنه لا بد من قبول الموت الذي يذوقه كل إنسان في نهاية حياته لذلك نراه يدعو في مثل هذه القصائد الى التحلي بالصبروعدم الجزع .

أما من الناحية الفنية فإن الشريف المرتضى استخدم المحسنات البيانية والبديعية مقتبسا في ثنايا شعره مايراه مناسبا من القرآن الكريم ، مضمنا شعره شيئا من الحديث الشريف ، مستخدما التضاد ، التشبيه والاستعارة ، حتى أصبح شعره غنيا بالصور الفنية الجميلة ، فضلا عن الشاعركان يختتم قصائده بنهايات جميلة تناسب موضوع الرثاء إما بالدعاء للمرثي له وإما بالإشارة إلى شدة حزنه وألمه لفقدان ذلك الشخص الذي يرثيه .

الكلمات الأساسية : الشريف المرتضى ، الرثاء ، البنية ، العاطفة الصادقة .

١ـ المقدمة:

إنّ من الموضوعات المهمة التي شغلت بال الإنسان منذ بدء الخليقة حتى يومنا الحالي هي مسألة الموت والفناء التي تعدّ الأمر المحتم الذي سيواجهه كل أنسان ، وتختلف ردة الفعل في مواجهة الموت من إنسان لآخر ، إذ أن هناك أناس قليلون يتسمون بالصبر والصلابة على فقد أحبتهم والأعزاء على قلوبهم ، إذ أن الإنسان بطبيعته ميال إلى دفع فكرة الموت عن نفسه وعمن يحب وبخاصة إذا كان في عنفوان حياته ومقتبل عمره ، على الرغم من أنه يعلم بجد أنه لا مفر له من الموت ، ولذلك أصبحت فكرة الموت وحياة مابعد الموت مثارا للكثير من الأحاسيس المتناقضة عند بني البشر يتلقاها من كانت نفوسهم مطمئنة بالرضا والتسليم ، فيما يذهب المعاندين الى التشكيك والإرتياب رغم أن الكلّ مُجمع على أن نهاية الإنسان هي الى الموت والفناء .

لقد حاول الإنسان منذ القدم أن يلج الى هذا العالم المجهول عالم الموت علّه يسبر غوره ويصل الى سره ، ولّما كان الأدب هو مرآة المجتمع الذي يعيش فيه الأديب والموت جزء لايتجزأ من حياة هذا المجتمع ، وبما أن الأدباء ـ الشعراء منهم والكتاب ـ أشد الناس انفعالا وتأثرا فلا بد من أن يكون تأثرهم بقضية موت من يتعلق بهم من جراء العلاقات الإنسانية المختلفة الناشئة بينهم من أن تنعكس على شكل ردة فعل تظهر بصورة مقطوعة نثرية أو قصيدة شعرية في رثاء من يتعلقون بهم من أصدقاء أو أهل أو أحبة أو رموز وشخصيات لها دورها في المجتمع الإنساني .

ولعلّ الباحث المتفحص للأدب في العصر العباسي سوف لن يتخطى الشريف المرتضى وهو يدرس حياة الشعراء العلماء الذين عاشوا في ذلك العصر ، فهو لن يستثني هذا الشاعر من الشعراء الذين اهتموا بقضية الموت والرثاء وكتبوا فيها ، إذ أنّ للشريف المرتضى قصائد رثائية كثيرة في أشخاص مختلفين في الدرجات والرتب من حاكم للدولة الى رئيس لديوان أو إلى صديق صدوق ، أو أعضاء أسرته ، فضلا عن سادة الدين في معتقده أهل البيت (عليهم السلام) وبخاصة الإمام الحسين (عليه السلام) .

واتساقا مع هذا المسار فإنّ هذا البحث يستهدف إلى دراسة بنية القصيدة الرثائية في ديوان الشريف المرتضى، ولتحقيق هذا الهدف تم وضع خطة للبحث تبدأ بالإشارة إلى ، والمنهج الذي اتبعته الباحثة في بحثها ، ثم إلقاء الضوء على الدراسات السابقة التي تناولت مثل هكذا موضوع ، مع ذكرأهم مصطلحات البحث ، مرورا بذكر أهم المضامين في القصائد الرثائية ، وما تتعلق بالناحية الفنية لها من لغة الشعر فيها وأسلوبها ، وخُتم البحث بذكر أهم النتائج التي توصلت اليها الباحثة من خلال البحث والتقصي مرورا بالمصادر والمراجع التي رجعت إليها الباحثة في كتابتها لهذا البحث .

المنهج : إنّ المنهج الذي تمّ اعتماده لدراسة البنية الرثائية في قصائد الشريف المرتضى هو المنهج الوصفي ـ التحليلي .

الدراسات السابقة : لا يفوتنا التنبيه على أن هناك بعض الدراسات والبحوث التي أجريت على المؤلفات العديدة للشريف المرتضى ولا يخلو

الإشارة إلى بعضها من جدوى ومن أهم هذه الدراسات مايأتي :

- نصر، علي (١٣٧٩هـ . ش) ، تحليل فقهى رابطه سلطان و علماء دين از ديدگاه علم الهدى سيد مرتضى ﴿دراسة فقهية في بيان علاقة السلطان والعلماء من منظور علم الهدى الشريف المرتضى﴾ ، مجلة انقلاب اسلامي ، السنة ٢، الرقم ٤ ، ص ١٧٠- ١٨٢.
- آرمين، محسن (١٣٨٩ هـ . ش). سيد مرتضى و استفاده از علوم زمانه در تفسير قرآن ﴿الشريف المرتضى واستخدام العلوم العصرية في تفسير القرآن الكريم ﴾ ، مجلة اسلام پژوهى ، الرقم ٤ ، ص ٢٧- ٤٤.
- حسينيان مقدم ، حسين (١٣٨٢) ، متشابهات تاريخي در آثار سيد مرتضى ﴿المتشابهات التاريخية في آثار الشريف المرتضى﴾ ، مجلة پژوهش ، السنة ٤، الرقم ١٣ و١٤، ص ٢١٩ - ٢٣٤.
- شكيب ، محمود ؛ محمد اسماعيل زاده (١٣٨٨) ، مضامين مراثي حسيني در ديوان سيد مرتضى ﴿المراثي الحسينية ومضامينها في ديوان الشريف المرتضى﴾ ، مجلة انجمن ايرانى زبان و ادبيات عربى ، الرقم ١٢، ص ٨٣ - ١٠٥. (**ولكن البحث هذا درس المراثي الحسينية فقط ومن ناحية المضمون دون الاهتمام بأسلوبها ولغتها**).
- الخطاوي ، وسام. (١٤٢٧هـ) ، المناهج الروائية عند الشريف المرتضى ، قم : دار الحديث .
- حسينى اشكورى ، سيد احمد (١٣٨٥هـ) ، حياة الشريف المرتضى ، الكاظمية : مكتبة الشريف المرتضى للعامة .

ورغم وجود مثل هذه الدراسات فإنّ الباحثة على حدّ سعيها في الوصول الى الدراسات السابقة لم تجد بحثا شاملا لما سوف تتناوله في ثنايا هذا البحث .

مصطلحات البحث : سنورد عرضا متراوحا لتلك المصطلحات بين البسط وبين الإيجاز:

الرثاء: لغة يعني مدح الميت ورثى الميت أي بكاه ، وعدد محاسنه ، يقال : رثاه بقصيدة رثاه بكلمة (لسان العرب، رث ى ، قدامة بن جعفر، نقد الشعر، ١١٨) ولعل الجانب الأول يعني التعبير عن مشاعر الحزن وهو الأساس في القصيدة الرثائية كما قال ابن رشيق في كتابه العمدة : «وسبيل الرثاء يكون ظاهر التفجع بّن الحسرة» (ابن رشيق، ١٩٧٢م، ٢: ١٤٧) ، ولكننا نلاحظ أن قدامة لم يفرق بين المدح والرثاء في موضع آخر من كتابه إذ يقول : « ليس بين المرثية والمدحة فصل إلا أن يذكر في اللفظ على أنها لهالك مثل «كان» و«تولى» و«قضى نحبه» وما أشبه ذلك وهذا ليس يزيد في المعنى ولا ينقص منه...» (المصدر نفسه) ، ومما هوجدير بالذكر أن هناك أبعادا ثلاثة للرثاء هي : الندب والتأبين والعزاء. والندب هو البكاء على الراحل وتصوير المأساة والموقف الحزين في حالة يكون فيها الراثي في قمة لوعته وحزنه والتأبين يأتي في المرحلة التالية للندب بعد صحوة الراثي من صدمته الأولى فينطلق بعيدا عن الموت ، ولكنه ما يزال يحمل شيئا من التوتر بسبب صدمة الموت فيعود إلى نفسه يسترجع صفات المرثي وخصاله معبرا عن حزن الجماعة بهذا الرثاء وأما العزاء فهو مرتبة عقلية فوق مرتبة التأبين تنبض بالتفكير في حقيقة الموت والحياة وتنتهي إلى معان فلسفية تعج بالحكمة يحملها الشاعربواسطة العزاء إلى نفسه والآخرين (ضيف، د. ت،٧٠).

البنية: بنية الشيء هي تكوينه (ابن منظور، ١٩٠٨ه، ب ن ي) ، وقد تعني الكلمة الكيفية التي شيد علىٰ نحوها البناء أو الشيء ولذلك يكون الحديث عن بنية المجتمع وبنية اللغة وبنية الشخصية ، ويفرق العرب بين كلمتي المعنى والمبنى وعندما تحدث العلماء القدماء عن المبنى قالوا : هو نظير ما يبحث عنه النقد الحديث بكلمة البنية ، والمعجم اللغوي قد أشار إلى لفظة «البنيوية» مانحا إياها تسميات أخرى هي البنائية والبنيانية بوصفها نزعة مشتركة بين علوم عدة كعلم النفس وعلم الدلالات ثم هي لغويا نظرية قائمة علىٰ تحديد وظائف العناصر الداخلة في تركيب اللغة ومبينة أن هذه

الوظائف المحددة بمجموعة من الموازنات والمقابلات هي مندرجة في منظومات واضحة ويركز هذا المعجم على كون فكرة الكلية أو المجموع المنتظم تقع في أساس البنيوية والمراد الذي تؤول إليه في نتيجتها الأخيرة وأخيرا يشير المعجم إلى قلق العلماء وعدم اطمئنانهم إلى أنهم توصلوا من خلالها إلى المنهج الصحيح المؤدي إلى حقاق ثابتة وعالمية التصديق (عبد النور، ١٩٧٩م ، ٥٢) ، وقد بدأ العالم اللغوي السويسري فرينان دي سوسير الدراسات البنيوية في العصر الحديث ومع أنه لم يستخدم كلمةالبنية وإنما استخدم النسق إلا أن الفضل الأكبر في ظهور هذه الدراسات يعود إليه ، ويؤكد سوسير على أن اللغة مجموعة من العلاقات وهي نظام أو نسق له قواعده الخاصة ومكونات هذا النسق مترابطة فيما بينها ، ووصف عناصر اللغة على إنها لا يمكن أن تتم إلا بالنظر إلى علاقة كل عنصر بما عداه من العناصر الأخرى والبنية ليست مجرد تعبير عن ذلك الكل الذي لا يمكن رده إلى مجموع أجزائه ، بل هي أيضا تعبير عن ضرورة النظر إلى الموضوع على أنه نظام ونسق حتى يكون في الإمكان إدراكه أو التوصل إلى معرفته ، وعلى ذلك فالبنية في أبسط تعريف لها هي نظام أو نسق من المعقولية (إبراهيم، ١٩٧٦م، ٣٢- ٣٣) ، إذ ليست البنية هي صورة الشيء أو هيكله أو التصميم الكلي الذي يربط أجزاؤه فحسب، وإنما هي أيضا القانون الذي يفسر تكوين الشيء ومعقوليته (المصدر نفسه، ٣٥) ، ولذلك قيل إن مفهوم البنية هو مفهوم العلاقات الباطنية الثابتة المتعلقة وفقا لمبدأ الأولوية المطلقة للكل على الأجزاء بحيث لا يكون من الممكن فهم أي عنصر من عناصر البنية خارجا عن الوضع الذي يشغله داخل تلك البنية أي داخل المنظومة الكلية الشاملة (المصدر نفسه، ٩٣) ، أو أنها تعني البنية البناء أو الطريقة التي يقام بها مبنى ما ثم امتد مفهوم الكلمة ليشمل وضع الأجزاء في مبنى ما من وجهة النظر الفنية المعمارية وبما يؤدي إليه من جمال تشكيلي (فضل ، ١٩٩٥م ، ١٧٥) ، فيما عرفها الهادي الطرابلسي بوصفها مجموعة من العناصر المكونة لجهاز يقوم عليه النص والجهاز يكون مع أجهزة أخرى جهاز النص الأكبر فالعناصر التي نهتم بها في الدرس هي

تلك العناصر المتفاعلة أو المعزولة ..ويجوز أن تسمى نظاما (الطرابلسي ، ١٩٩٢م ، ٣٨) .

وقد أخذ مفهوم البناء الفني للقصيدة جهدا كبيرا من النقاد الغربيين ومنهم أصحاب مدرسة النقد الجديد وهم الذين درسوا القصيدة غير مهتمين بالظروف الخارجية المحيطة بها وذهب روادها أن هناك خاصيتين يهتم الشاعر بهما وهما حس الموسيقى وحس البناء (عياد ، ١٩٦٨م، ١٤٤) .

على أية حال فإن دراسة بناء القصيدة وفق المنهج البنائي هي دراسة تركيب النص بما يتضمنه من عناصر صوتية ودلالية لاكتشاف العلاقات الرابطة بينها وهو ما أكد عليه عز الدين إسماعيل الذي ذهب إلى أن بنية النص تعني النص بكل أبعاده أي لغته وحركاته ونظام علاقاته والرؤية التي يطرحها فهذه الأبعاد تنشأ متشابكة متناغمة تؤلف مجتمعة بنية النص الشعري أو بنية القصيدة (إسماعيل، ١٩٧٢م ، ٢٠).

الشريف المرتضى :

الشاعر الفحل والعالم الشهير أبو القاسم علي بن الشريف أبي أحمد الحسين ؛ ولد في دار أبيه بمحلة باب المحول في الجانب الغربي من بغداد «الكرخ□ في رجب من سنة ٣٥٥ هـ ، من أبوين كريمين شريفين ؛ وأبوه الشريف أبو أحمد الحسين الملقب بالطاهر الأوحد ذي المناقب لقبه بذلك الملك بهاء الدولة البويهي لجمعه مناقب شتى ومزايا رفيعة جمة ، وينتهي نسبه إلى الإمام موسى بن جعفر (عليهما السلام) ؛ اشتهر أبو القاسم بألقاب مختلفة كالشريف ، المرتضى ، ذو المجدين ، علّامة المفسرين ، شيخ الأدباء ، علم الهدى وذو الثمانين ومن صفاته الخُلقية أنه اشتهر بالبذل والسخاء والإغضاء عن الحساد والأعداء وتتلمذ على يد كثير من علماء عصره في العلوم الفنون المختلفة إذ درس اللغة ومبادئ الفقه والأصول والشعر والأدب والحديث وغيرها من العلوم المختلفة والمتنوعة أخذها كلها على يد علماء كبار أجلاء مشهورين بعلمهم وثقافتهم ،

أما من الناحية الإجتماعية فقد تقلد نقابة الطالبيين في عصره ، فضلا عن تسنمه بعض المناصب السياسية مثل أمر الحج والمظالم ونشأت بينه وبين حكام عصره

علاقات وثيقة ووشائج عريقة ، إذ كان أمين أسرارهم ومشيرهم الناصح وسفيرهم المصلح ، وروي إنه كان في نعمة سابغة وخير كثير وثروة قل أن تتهيأ لمثله من العلماء ، وبفضل هذه الثروة تمكن أن يعيش في داره مكفول الرزق مقضي الحاجات لم يشغله من مطالب الدنيا شيء ، توفي هذا العالم الكبير في ربيع الأول سنة ٤٣٦هـ وصلى عليه ابنه ودفن في داره ثم نقل إلى المشهد الحسيني بكربلاء المقدسة ليدفن فيها الى جوار جده الإمام الحسين (عليه السلام) الذي طالما رثاه في قصائده وأشعاره (راجع المصدر التالية : الخطيب البغدادي، د.ت؛ الحموي، ١٩٨٠م؛ ابن خلكان، ١٣٩٧ه؛ المرتضى، ١٩٨٧م، مقدمة الديوان) .

أما بالنسبة إلى آثاره العلمية فللشريف المرتضى تأليفات كثيرة ناهزت السبعين مؤلفا منها : إبطال القياس ، الانتصار في الفقه ، إنقاذ البشر من القضاء والقدر، البرق ، تفسير الخطبة الشقشقية ، تفسير قصيدة السيد الحميري ، تقريب الأصول ، تكملة الغرر والدرر، تنزيه الأنبياء ، جمل العلم والعمل ، الرسالة الباهرة في العترة الطاهرة ، رسالة في المحكم والمتشابه ، شرح مسائل الخلاف ، الشهاب في الشيب والشباب ، طيف الخيال ، المصباح في أصول الفقه ، المقنع في الغيبة ، الملخص في الأصول ، المنع في تفضيل الملائكة على الأنبياء ، الوعيد ، النقض على ابن جني في الحكاية والمحكي ، أمالي المرتضى (غرر الفوائد ودرر القلائد) ، وغير ذلك كثير من الآثار العلمية التي قلّ لها نظير في زمانه ؛ وله ديوان شعر كبير حققه ورتب قوافيه وفسر ألفاظه رشيد الصفار ونشره في مجلدين ، وقد زين طبعه بمراجعة الدكتور مصطفى جواد ، كما قدم له الفقيه الأديب الشيخ محمدرضا الشبيبي فقال : « إنه جزل الشعر فخم الألفاظ ثر اللغة وافرها فلذلك كثر في شعره التصحيف من النساخ واستبهم كثير منه على رادة الشعر وهذا هو الرجل الذي يصح أن يقال فيه إن أقل فنونه الشعر فقد كان الشعر يفيض على جنانه فيطفح إلى لسانه سالكا طريق بيانه » (المرتضى ، ١٩٨٧م ، مقدمة الديوان ، ٢٢) .

٢ـ بنية القصيدة الرثائية في ديوان الشريف المرتضى:

للحصول على مضامين الرثاء ودراسة هذه القصائد من الناحية الفنية اولينا الموضوع أهمية فائقة فقمنا بإحصاء القصائد الرثائية ونوعها وعدد أبياتها وذكر الأشخاص الذين رثاهم الشريف المرتضى .

- ففي قصيدة الرثاء كتب الشريف المرتضى **(٢٩٥٢)** بيتا من الشعر .
- وفي التعزية كتب الشريف المرتضى **(٥٥٣)** بيتا من الشعر .

أسماء الذين رثاهم الشريف المرتضى :

رثى الشريف المرتضى عددا كبيرا من الناس اختلفت مقاماتهم ومنزلتهم الإجتماعية والذين رثاهم من غير أهل البيت (عليهم السلام) هم :

القادر بالله ، الشريف أبو علي عمر بن محمد بن عمر، فخر الملك (ثلاث مرات) ، نقيب العباسيين أبو الحسن محمد بن علي الزينبي، الأمير عنبر الملكي الخادم ، غريب بن مقن ، أبو محمد الحسن بن محمد المسلمة ، الشيخ أبو الحسن عبد الواحد بن عبد العزيز الشاهد ، والده السيد الشريف الطاهر الأوحد ذو المناقب ، والدة الشريف أبي محمد «فتاه» ، الحاجب أبو الحسين المعروف بابن أخت الأستاذ الفاضل ، أبو الحسن علي بن هلال الكاتب المعروف بابن البواب ، أبو الفتح النيسابوري النحوي ، ابن شجاع الصوفي (مرتين) ، أبو الحسن أحمد بن علي الكاتب البيهقي، الشريف الرضي أخوه ، أحد أحبته باسم محمد وكان يكنى بأبي الحسين ، العنبري ، أبو عبد الله جعفر بن محمد ، الوزير أبو علي الرخجي ، جلال الدولة ، أبو الحسين الأقساسي العلوي ، أخته ، الملك شرف الدولة بن بهاء الدولة ، أبو الخطاب حمزة بن إبراهيم ، أبو الحسن السمسمي ، أبو إسحاق الصابي ، أبو الغنائم محمد بن عمر، الأمير أبو شجاع بكر بن أبي الفوارس ، الملك قوام الدين بهاء الدولة ، الشريف أبو الحسن محمد بن عمر، الوزير أبو الفتح ، أخته التي أسنت فبلغت من العمر نيفا وتسعين سنة ، عميد الجيوسي أبو علي ، الشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان العكبري ، الشريف أبو الحسين بن الشبيبة ، الأستاذ أبو الحسن محمد بن الفضل ، الأمير أبو الغنائم محمد بن مزيد

أسماء الذين عزاهم الشريف المرتضى عن فقد أحد أحبتهم :

أبو الحسن علي شاه فيروز عن أخيه ، القادر بالله العباسي عن ولده ، الوزير مجد الدين في موت أبيه ، أبو علي الحسن بن حمد عن والدته ، سعد الأئمة أبو القاسم عن ابنه أبي محمد ، القاضي أبو القاسم عبد العزيز بن محمد العسكري عن ولده ، عميد الرؤساء أبو طالب بن أيوب عن ولده الذي سقط عليه السقف ، الشريف أبو الحسين أحمد بن الحسن الناصر خاله عن بنت له توفيت ، كمال الدين بن عبد الرحيم عن ولده ، جلال الدولة عن ابنته ، الوزير أبو علي عن خاله جعفر بن المغيرة ، الوزير أبو علي عن ابنة له توفيت ، بهاء الدولة بولده أمير الأمراء أبي منصور بويه ، أبو سنان غريب بن محمد بن مقن عن ولده ، الوزير أبو الفرج ابن فسانجس عن عمه أبي الحسين .

وخص الشريف المرتضى أربع قصائد لأصدقائه ، ووثلاث عشرة قصيدة لرثاء أو تعزية الذين لم يسم بأسمائهم في شعره ، وكما خص أحد الوزراء وأحد رؤساء العرب بقصيدتين .

وفيما يلي ذكر لأهم المضامين في قصائد الشريف المرتضى الرثائية مع دراسة فنية لها :

٢ـ ١ـ الناحية الموضوعية:

من أهم الموضوعات في القصائد الرثائية عند الشريف المرتضى يمكننا الإشارة إلى مايأتي :

- **بيان ما له من الحزن والغم لما حلت عليه من المصيبة وشرح أسفه لفقد الأحبة :**

يقول في فقد صديق عزيز عليه أرقه فقده وسلب منه نومه وعانى ماعانى من فقده من أنواع الألم والأسى :

أَرّقنِـــي فَقـــدُك مِـــن راحـــلٍ وَاِســتَلَّ مِــن عَينَــيَّ طعــمَ الكَــرى
وَبِنــتَ لا عَــن مَلــلٍ مِــن يَــدي وَغبــتَ عَــن عَــينيَّ لا عــن قِلــى
فَكَيـــفَ وَلّيـــت وَخَلَّفـــتني أَكــرعُ مِــن بَعــدك كــأسَ الأَســى
كَــأَنَّني ســارٍ عَلــى قَفــرةٍ مَســلوبَةٍ أَعلامُهــا وَالصُّــوى
أَو مُــنفِضٍ مِــن كــلِّ أَزواده يَحــرِقُ القَــيظ بِنــارِ الصَّــدى

(المرتضى : الديوان ، ١: ١٥٥)

وفي هذه الأبيات الشعرية يتجاوب الشاعر مع ذاته ويؤكد إحساسه المرهف النبيل، فهو يعيش هذا الفراق .. فراق فقد الأحبة ؛ إذ أنه لا يمكن له السلوى إلا بوجودهم في القلب ، فهو ينبض بنبضهم ويتغنى بذكرياتهم العطرة العزيزة ، وتلك أهم سلوى يمكن أن تخفف عنه أحزانه المتلاحقة ، وهو يفتقد أقرب من تملكه قلبه وفؤاده ، إنها تداعيات نفس تواقة احترقت من أجل فراق الخلان والأحبة ، وفي هذا المسار فإن الشاعريصور نفسه إنسانا سار في مفازة لا نهاية لها وليست فيها أعلام كي يهتدي بها وينجو من هذه القفرة أو كمن نفد زاده وأشتد عليه الحر وهو ظمآن لا يجد ماءا لسد عطشه..

ويقول في قصيدة أخرى واصفا نفسه وحالته في فقد صديق عزيز وهو الشيخ أبو الحسن عبد الواحد بن عبد العزيز الشاهد:

إنَّ جَفْنِـــي عليـــك حزنـــاً جـــوادٌ وهـــو في كـــلّ مـــن ســـواك شـــحيحُ
داءُ قلبِـــي يُـــدوى وفيـــه مـــن الأشْـــ ـــجانِ مـــا فيـــه مـــا يقـــول الصَّـــحيحُ
لـــي لســـانٌ ومـــدمعٌ حَمَـــلا رُزْ ءَك ذا كـــــاتمٌ وذاك يبـــــوحُ
مُفـــردٌ وَالأنـــيسُ عَنـــكَ بَعيـــدٌ لَـــيس إلّـــا جَنـــادلٌ وصـــفيحُ
وغمـــامٌ موكّـــلُ الجَفْـــنِ بـــالقَطْ ـــرِ ووُرْقٌ مـــن الحمـــام ينـــوحُ

(١: ٣٣٤)

إذ دمعت عيناه وهما جوادان في صب الدموع على هذا العزيز وأصبح فردا لا أنيس له ولا أليف بل ألف بالأحجار الصم التي وُضعت على شاهدة قبره وقال لذلك فإن أدمعي لا تجف حزنا عليهم ، فهي تذرف الدمع مدرارا، لتتعانق مع تلك الذكريات العزيزة التي كانت وستظل دليلا على العزة والنشوة والانتصار كون كل بارقة جميلة تجعل الشاعر يتوق الى ذكراه .. فدحدحة الحمام تراعيه، وندامة العليل تناديه .. وأشجان الصحيح تفديه ، إنه يبوح بكل ما لديه من خير وفضل وحب ...

ومن جراء ذلك شبه نفسه بالسحابة التي ملأت من الماء ويعني أنه يريد البكاء دائما كما أنه يشبه بالحمامة التي تنوح ويقصد أنه دائما يضج ويبكي على هذا الفقيد ولا ينتهي همه كما أن الحمامة دائمة النوح والسجع.

ويرى الشاعر حزنه على أهل البيت(عليهم السلام)أكثر وأشد فهو يبكى على مصائبهم كثيرا حتى لم تبق له دموع بل يتصورتحولها كلها إلى دماء ولا يرى خيرا في الحياة بعد ما حلت بأهل البيت (عليهم السلام) تلك المصائب:

فَلَيسَ دُموعي مِن جُفوني وَإِنّما تَقاطَرْنَ مِن قَلبي فَهُنَّ دِماءُ
إِذا لَم تَكونوا فَالحياةُ مَنيّةٌ وَلا خَيرَ فيها وَالبقاءُ فَناءُ

١(: ١٥٩)

وهذه الخطوب جعلت الشاعر يشيب من هولها مع أنه في عنفوان شبابه ولم يحن وقت شيبه بعد :

وَخطوبٍ مُعضلاتٍ بِتن يُنسين الخُطوبا
شَيّبتْ منّي فَودَيَّ ولم آتِ المشيبا

(١: ٢١٤)

أو يصف دموعه بأنها واكفه دائما دون أن يطلب الشاعر منها أن تجري:

فلِي دموعٌ تُبارِي القَطر واكِفةٌ جادتْ وإن لم أقلْ يا أَدمعِي جودِي

(١: ٤٣٩)

- **الإشارة إلى مناقب المرثي وما كانت له من خصال طيبة**:

وذلك لأن الإنسان إذا فقد من كان عزيزا علىه يتذكر بعد موته كل ما كانت له من مناقب وصفات حسنة لأنه يحس بخلوّ مكانه والفراغ الذي يتركه لذا يحس بالألم الشديد ولذلك نرى الشريف المرتضى يتمنى أن لو كان باستطاعته أن يفتدي من يرثيه :

ويا لَيتني ذقتُ عنه الحِمامَ ويا لَيتَني كنتُ عنه الفِدا

(١: ١٥٠)

ويقول في بيان بعض صفات المرثي بأنه لم يرتكب ذنبا ولا جناية في حياته وكان نقيا تقيا وإذا شك في أمر وأحس أنه قد يذنب في ارتكابه فإنه لا يفعله ، وإذا رأى في فعل لا ينفعه في آخرته ويكون له زادا ومتاعا فيها تركه ولم يهتم به:

مَضى وهوَ صِفْرٌ منَ الموبقاتِ نقيَّ الإزارِ خفيفَ الرِّدا

إذا رابَـــهُ الأمـــرُ لَـــم يأتِـــهِ وإن خَبُـــثَ الـــزَّادُ والَـــى الطَّـــوى
(١: ١٥٠)

و في رثاء لصديق له سصفه على أنه بعيد عن الفحش والخنا كل البعد ويحافظ على الأسرار وإن أودعته سرا لم يفشه أبدا (١: ١٥٦).

وأشار في رثاء الشريف أبي علي عمر بن محمد بأنه كان يحمل أثقال قومه ويساعدهم وكأنه كان نورا يسطع عليهم ويذهب بالظلمات أو الهموم من حياتهم ، إذ لم يكن ضعيفا جبانا بل كان شجاعا مقداما فضلا عن صفائه ووفائه لقومه وكان يسرع في مساعدة القوم حتى ولو أبطأوا هم في مساعدته (١: ١٦٢).

ويهم الشريف المرتضى صداقة الصديق وخلقه الحسن ويعز عليه أن يفقد صديقا عثر عليه بعد أن جربه في أمور مختلفة ورأى صدقه وصفاءه ، لذلك يتذكر تلك الصفات ويدبّجها في رثاء صديقه :

نَســـيبِيَ بِـــالوُدِّ الصـــحيحِ وأَقْربـــي وَصـــاحِبيَ الأدْنـــى إِذا ازوَرَّ صـــاحِبي
وَمَـــنْ كُنـــتُ لا أُفضِـــي لَـــه بِخليقـــةٍ وَلا أَشـــتكِي منـــهُ اعوِجـــاجَ المـــذاهبِ
مَـــذاقٌ كَمـــا يَحلـــو الشّـــهادُ لِـــذائقٍ وَصَـــفوٌ كَمـــا يَصـــفو الشّـــرابُ لشـــاربِ
وَلَمّـــا بَلَـــوْتُ الأَصـــدقاءَ ووُدَّهُـــم خلصْـــتُ إِليـــهِ مِـــن خِـــلال التّجـــارِبِ
(١: ٢٢٤)

ويشير في قصيدة أخرى في رثاء شيخ فيصف عبادته ويبين أن كل حياة ذلك الشيخ كانت رهنا لصومه وصلاته وتسبيحاته ، ولم يعرف عنه القبيح في حياته :

لا عرفـــتَ القبـــيح في دارك الأخ رى فمـــا كـــان منـــك فعـــلٌ قبـــيحُ
لـــيس إلّـــا الصّـــلاة والصّـــوم والتَّسْـــ ـــهيدُ جُـــنحَ الظّـــلامِ والتّســـبيحُ
وحـــديثٌ تَرويـــهِ مـــا فيـــه إلّـــا واضـــحٌ نيِّـــرٌ وحـــقٌّ صـــحيحُ
(١: ٣٣٥)

ولا تستثنى قصائده الرثائية في الإمام الحسين (عليه السلام) من هذا الموضوع بل يرى أن أهل بيت النبي (صلى الله عليه وآله) أولى بذكر مناقبهم إذ قال في إحدى مراثيه بأن اللبيب عاجز عن بيان فضل أهل البيت (عليهم السلام):

آل ياســـــين وَمَـــــنْ فَـــــض ـــــلُهُم أَعيـــــا اللّبيبـــــا (١: ٢١٧)

ويخاطبهم في موضع آخر قائلا :

أنـــــتُمُ أمْنـــــي لـــــدَى الحشـــــ ـــــــرِ إذا كنـــــــتُ نَخيبـــــــا
أنـــــــتُمُ كشّـــــــفتُمُ لِـــــــي بِالتّباشـــــــيرِ الغُيوبـــــــا
كَـــــم رَدَدتمْ مِخلَبـــــاً عنـــــ ـــــــني حديـــــــداً ونيوبـــــا
وَبكـــــم أَنجـــــو إذا عُـــــو جِلـــــتُ موتـــــاً أن أَنوبـــــا

(١: ٢١٧)

- **التذكر بأن الموت حق وأن الفناء مصير كلّ شيء على الأرض**:

إن من القضايا الجديرة بالملاحظة في رثاء الشريف المرتضى ، أن الشاعر يميل إلى المنطق ويرى الواقع المر والحقيقة المأساوية التي تجري على كل حي على هذه الأرض ويخلص الى الحقيقة التي لامفر لكل حي منها وهي أنه لا بد وأن يموت في يوم ما ما ، لذلك فهو يرى أن الإنسان يفنى وإن طمع في البقاء على الأرض ولكن هذا الطمع لا يفيده إذ يسلب الموت كل ما وهبته له الحياة من النعم والأموال ، وفي سياق ذلك يذكّر الشاعر من يخاطبه بكل من عاش على هذه الأرض من أناس ذوي أموال طائلة وملك عريض وسلطان بهي ، فكلهم ماتوا ودخلوا القبر المظلم وأصبحوا صما لا يقدرون على الإجابة عمن يدعوهم :

مـــــا نَحـــــنُ إلّـــــا للفَنـــــاءِ وَإن طَمِعنـــــــا في البقـــــــاء
نُعطـــــى وَيســـــلبُنا الّـــــذي أَعطـــــى التمتّـــــعَ بالعطـــــاء
وَالمـــــوتُ داءٌ مـــــا لَـــــهُ عِنـــــدَ المُـــــداوي مِـــــن دواء
وَالنـــــاسُ فينـــــا كلُّهـــــم مـــــا بـــــينَ يَـــــأسٍ أو رجـــــاء
أَيـــــنَ الّـــــذين سَـــــقَتْهُمُ ال أَيّـــــامُ كاســـــاتِ الرّخـــــاء
وَتَملّكُـــــوا رِبَـــــقَ الـــــورى وعَلَـــــوْا علـــــى قمـــــمَ العَـــــلاء
وَتَـــــرى بعقْـــــوةِ دارِهـــــم مَجثـــــى الحميَّـــــةِ والإبـــــاء
مـــــا ضَـــــلَّ قـــــطُّ وإنْ هُـــــمُ غَـــــدَروا بِـــــهِ طُـــــرقَ الوفـــــاء

وَرُمـــــوا إلى ظُلَـــــمِ الصَّـــــفا ئـــــحِ في صـــــباحٍ أو مســـــاء
دَخَلـــــوا ولَكِـــــنْ في الّـــــذي لا يَرتَضـــــونَ مِـــــنَ الخـــــلاء
وَمَتـــــى دَعَـــــوتهُمُ فهـــــمْ صُـــــمُّ المَســـــامعِ مِـــــن دُعـــــاء

(١: ١٦٦)

وقال في قصيدة أخرى مكررا هذا المضمون:

مـــا نَحـــن إلّـــا لِلـــرّدى وإلى الـــرّدى فمقـــــدَّمٌ لحِمامـــــه ومـــــؤخَّرُ
وعلـــى المنيّـــةِ طُرقنـــا ومســـيرُنا والرّجـــلُ تهفـــو والأخـــامص تعثـــرُ
ذاق الـــــرّدى متكِـــــرّمٌ ومبخّـــــلٌ وأتـــــى الحِمـــــامَ معجّـــــلٌ ومعمّـــــرُ

(١: ٤٧١)

مشيرا إلى أن مايصبّر النفس على هذا الأمر الجلل هو أن كل البشر مقدمون على الحمام والردى ، فهم على الموت قادمون ، ولا يمكن لكائن كان أن يتأخر عن موعده ، مهما كانت الصروف والظروف ، وكل حي يذوق الردى ، ويقبل على الحمام بنفس رضيت أم سخطت !! مهما كان الحال ، فسينتهي أمر الإنسان إلى زوال ، وتلك أكبر سلوى وأعظم ما يصبّر الإنسان .

- **بيان أن الموت لا مفر منه**:

لا شك في حقيقة الموت المأساوية ويعلم الجميع أن لكل إنسان أجل﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ ﴿الأعراف ٧: ٣٤﴾ وأنه لا مفر من الموت ولا خلاص منه والى ذلك المضمون أشار الشريف المرتضى في كثير من قصائده الرثائية ونسجل هنا بعضا من نماذج شعره :

هـــوَ الـــرّدى يأخـــذُ مِـــن بَيننـــا إذْ هَـــمّ مَـــنْ شـــاء بـــلا ذنْـــبِ
وَلَـــيسَ يُســـطاع دِفـــاعٌ لـــه بِـــالطعنِ بـــالرُّمْح ولا الضّـــربِ
إنْ يَبـــغِ مَحجوبـــاً فمـــا إنْ لـــه مِـــن دونـــه شـــيءٌ مِـــن الحُجْـــبِ
أو شـــاءَ أن يَأخُـــذَ ذا هَضْـــبةٍ عاليـــةٍ فهـــو بـــلا هضْـــبِ

(١: ٢٤٣)

ويتجاوب الشاعر في هذه الأبيات مع قضية الموت الذي لا خلاص منه وأنه لا يمكن دفعه بالرماح والسيوف، وأنه لا حجاب بينه وبين من يريد أن يأخذ روحه حتى إذا كان الذي قصده الموت على قمم الجبال الشاهقة فهذه الجبال والحجب ، لا تمنع ملك الموت من الوصول الى الإنسان أبدا .

وإلى هذا المضمون أشار الشاعرفي قصيدة أخرى مخاطبا المرثي بأنه إن جاءه غير الموت فبإمكانه أن يدفعه عنه بالضرب والطعن ولكن الذي جاء هو الموت الذي لا خلاص منه ولامفك :

وَلَـو أنَّ غـيرَ المَـوتِ ضـامَكَ وَحـدَه دَفعنـاهُ بِـالبيض الرّقـاق المضـارِبِ

(١: ٢٤٢)

وأنه لا يمكن أن يفتدى نفسه أمام الموت بأي شيء من حطام هذه الدنيا فيقول مخاطبا المرثي:

يـا راحـلاً لـو كـان يُفـدى مـن ردىً أحـدٌ فُـدِيتا

(١: ٢٧٨)

وفي نفس هذا الضرب من القول ينشد في رثاء والده بأنه يشفق مما لا بد من وقوعه ويسأل استفهاما إنكاريا هل يقدر الإنسان أن يدفع المنايا :

وأُشـفِقُ ممّـا لا محالـةَ واقـعٌ وهـلْ للمنايـا قـادرٌ أن يردّهـا

(١: ٣٩٤)

- **الدعوة إلى الصبر والسلوان والرضى بما قدر الله تعالى**:

عندما قبل الإنسان حقيقة الموت وفهمها جيدا وعلم أنه لا مفر منه ولا خلاص ، فكل حي سيذوق الموت لا محالة ، عند ذاك لاحيله للإنسان إلا أن يصبر على فقد من أحبه ، فضلا عن إن الصبر ضرورة دينية وضرورة حياتية كما أنه ضرورة إنسانية ولا يمكن أن ينتصر الدين ويتحقق النصر للمسلمين بدونه ، كما أنه لا يمكن أن تتحقق سعادة في الدنيا والآخرة بغيرالصبر ، وقد بشّر الله تعالى للصابرين أوفى الأجر والجزاء عنده .

إن الصبر هو حبس النفس على ما تكره ، ابتغاء مرضاة الله بدليل قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ ﴾ ﴿الرعد ١٣: ٢٢﴾ ، وما تكرهه النفس أنواع وألوان شتى ، ولهذا تتّسع دائرة الصبر فتشمل مجالات رحبة أكثر مما يقف عنده عادة كثير من الناس إذا ذكرت كلمة «الصبر»، لذلك ترجع عناية القرآن البالغة بالصبر إلى ما له من قيمة كبيرة دينية وخلقية ، إذ ليس الصبر من الفضائل الثانوية أو المكمِّلة ، بل هو ضرورة لازمة الإنسان ليرقى ماديا ومعنويا ، ويسعد فرديا واجتماعيا ، إذ لم ينتصر دين ولم تنهض دنيا بقيمها العليا إلا بالصبر.

وقد بيَّن الله تعالى ما ينتظر الناس من ألوان البلاء مؤكدا ذلك بلام القسم ونون التوكيد ، إذ يقول: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ﴾ ﴿البقرة ٢: ١٥٥﴾ ، والله يعلمنا أن الصبر هو فضل منه عز وجل فيقول : ﴿ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ ﴾ ﴿النحل ١٦: ١٢٧ ﴾.

ومن جهة أخرى اهتم العلماء وخاصة أهل العرفان برضى الإنسان بما قدّره الله تعالى له في الدنيا إذ يلتذ الإنسان الراضي في البلايا ويسر قلبه بما يحدث له ويتحمل المصائب ولا يجري لسانه بما يخالف قدر الله وقضائه ويعرّف نصير الدين الطوسي الرضا مشيرا إلى الآية الكريمة : ﴿ لِّكَيْلَا تَأْسَوْاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ ﴾ ﴿الحديد ٥٧: ٢٣﴾ فيقول إنّ : «ثمرة الرضا المحبة ويقتضي عدم الإنكار إما في الظاهر وإما في الباطن وإما في القلب وإما في القول وإما في الفعل» (الطوسي، ١٣٨٥، ١١٥).

أخذ الشريف المرتضى هذه الحقائق وضمنها في قصائده الرثائية داعيا من يعزيه بفقد عزيز على قلبه إلى الصبر والسلوان و الرضى بما قدره الله سبحانه له ؛ فيخاطب القادر العباسي ويعزيه عن ولده قائلا :

صَبراً أَميرَ المؤمنينَ فَلَم نَزلْ بالصّبر من آدابكم نتأدّبُ
أَنتُم أَمَرتم بِالسُّلوّ عن الرّدى وَأَريتمُ في الخطبِ أَين المذهبُ
(١: ١٩٤)

ويدعو الحاكم إلى الصبر مذكرا إياه بأنه الآمر الناهي بين المسلمين ووأن المسلمين تتأدب بآدابه وطالما كان الحاكم يدعو الناس إلى الصبر والسلوان وحان الوقت الآن الى العمل بما كان يدعو إليه الناس من الصبر .

وفي مكان آخر قال أيضا داعيا إلى الرضى بما قدره الله سبحانه وتعالى على عبيده :

فَاذهَبْ كما شاءَ القضاءُ وكن غداً في القَومِ إمّا سُوِّدوا أو تُوِّجوا

(١: ٣٠٩)

مع كل ذلك فإن الشريف المرتضى كان يرى أنه لا يطيق المصيبة ولا صبر له أمامها ، ففي رثاءه لنقيب العباسيين أبا الحسن محمد بن علي الزينبي قال :

ولا تُغرِني بالصَّبْرِ وَالصَبرُ ما لَه طَريقٌ إلى ما في الحَشا والتّرائبِ

تَلومُ عَلى ما بي وأنتَ مُسَلَّمٌ وَقد جبَّ هَذا الرُّزءُ دونَك غاربي

(١: ٢٣٨)

طالبا ممن حوله ألا يغريه على الصبر لأنه لا سبيل الى للصبر إلى قلبه ، معاتبا من لامه لفقدان صبره أمام هذه المصيبة الداهية التي ألمت به ، وعلى نفس المنوال حاك الشاعر أبياته التي قالها معزيا سعد الأئمة أبا القاسم حين بلغه موت ابنه :

هَذي المُصيبةُ ما أبْقَتْ لنا أبداً صبراً عليها ولا خلَّتْ لنا جَلَدا

جاءَتْ ولا همّ في قلبي ولا كَمَدٌ فَلَم تَدعْ فيه إلّا الهمَّ والكَمَدا

وما أرى الصّبرَ لي رأياً فأسألَهُ والقصدُ يُغْرِي به مَن كان مقتصدا

ولستُ أرضى له قولاً وفي كَبدِي جمرُ المصيبةِ ما أغضى ولا خَمَدا

(١: ٣٩١)

ومن قبيل نفس الضرب من الرثاء يقول في أبا الحسن علي بن هلال الكاتب المعروف بابن البواب راثيا إياه ، معاتبا من دعاه إلى الصبر أو الاصطبار عن فقد هذا العزيز الى قلبه :

قالوا اِصطَبِر عنه بأساً أو مجاملةً والصّبرُ يُلعَقُ من أثنائه الصَّبِرُ

وَلَو دَرى مِن على حُزنٍ يقرّعني بمن فُجعتُ ومن خُولستُه عَذَروا

وَكيـفَ أَسـلو وَمـا في غَـيرهِ عـوضٌ من الرّجال ولا لِي عنه مُصطَبَرُ (١: ٤٦٤)

ويسأل من طلب منه الصبر عن كيفية الإصطبار على هذه المصيبة إذ أن من فقده كان عزيزا على قلبه ، وليس لأحد المقدرة على أن يحلّ محل الفقيد أو يعوضه عن فقده .

- **الإعتباربالموت والإتعاظ به وترك الحرص على الدنيا** :

لعلنا لا نبالغ إذا ادعينا أن مفتاح حياة الإنسان السعيدة هو التربية الدينية ومفتاح التربية الدينية هو ذكر الموت وأن يجعل المسلم حياته معتقدا بأن الموت بالمرصاد ويمكن أن يأخذه في كل لحظة وانسياقا من هذه الفكرة سيهتم الإنسان بكل لحظة من لحظات حياته ولا يقضيها متلفا إياها وأن يسعى الإنسان جاهدا في أداء الحقوق التي تترتب على عاتقه مادية كانت أم معنوية.

فالموت إذا له أثر محوري في عقيدة الإنسان المسلم المؤمن الملتزم ، والاتعاظ بمصير الإنسان وماسيؤول إليه لابد وأن يكون زاجرا له في حياته لئلا ينحرف عن الصراط المستقيم ، من مظاهر الاعتبار بالموت هو التفكر فيمن مضوا من قبل ، والتأمل فيما كانت لديهم من النعم والحياة الرغيدة إلا أنهم إن جاءهم الموت ، تركوا كل تلك النعم وإن كانوا كارهين ليلاقوا الموت الذي لابد منه ، أخذ الشريف المرتضى هذه الحقيقة التي تذهل الانسان وضمنها في كثير من قصائده الرثائية مخاطبا بها الإنسان متسائلا عمن مضى وكيف واجهوا تلك الحقيقة ، ومن ذلك قوله في قصيدة يعزي فيها أبا الحسن علي شهفيروز عن أخيه :

أَيـــنَ الّـــذين سَـــقَتْهُمُ ال أَيّـــامُ كاســـاتِ الرّخـــاء
وَتَملّكُـــوا رِبَـــقَ الـــورى وعَلَـــوْا علـــى قمـــمَ العَـــلاء
وَالمُرتَـــوونَ مِـــنَ النَّعـــيمِ كمـــا تَمَنَّـــوْا والثّـــراء
وَرُمـــوا إِلى ظُلَـــمِ الصَّـــفا ئـــحِ في صـــباحٍ أو مســـاء

(١: ١٦٧)

ولأهمية هذا الموضوع يرى الشريف المرتضى أن على الإنسان أن يترك التفكير بكل شيء من هذه الدنيا الفانية إلا التفكر بالموت وأن يبتعد عن الحرص بمتاع الدنيا الزائلة كل البعد :

دَعِ الفكـــرَ إلّـــا في الحِمـــامِ ولا تُقِـــمْ مـع الحـرصِ في دار الظّنـونِ الكـواذبِ
(١: ٢٤٩)

وفي قصيدة أخرى في رثاء أحد بني عمومته ذكرا فيها أن الإنسان إذا إنشغل بالحرص على الدنيا سيواجه الصعوبات في حياته مطالبا مخاطبه ترك الأسفار للحصول على الرزق لأن الأرزاق معينة ومقدرة ولا تتغير:

فقـــــلْ للمُفعـــــم المـــــلآ نِ مـــن كِبْـــرٍ ومـــن عُجْـــبِ
ومـــــن يُركِبُـــــهُ الْحِـــــرصُ قَـــرا صَـــعْبٍ مـــن الصّـــعبِ
ومَـــــنْ تنقلُـــــهُ الأَطمـــــا عُ مـــن شـــرقٍ إلى غـــربِ
دع الأســـــفارَ للـــــرّزقِ فَمـــــا الأَرزاقُ بالكســـــبِ
(١: ٢٥٩)

ولا يفوتنا أن نذكّر بأن الشاعر لا يريد أن يحرّض المخاطب على الكسل وعدم السعي ولكن قصده أن يتجنب الحرص وطلب الزيادة في الرزق والحياة فإنه أمر غير مستحسن .

وقال ضمن قصيدة أخرى مشيرا إلى أن حوادث الدهر ومصائبه تهيء ذهن الإنسان في كل يوم للمواعظ والنصائح إلا أن الإنسان لا يهتم قط بمثل تلك المواعظ والعبر ولا يزداد إلا غرورا ، إذ يخدعه الدهر فتراه غير مبال بما حدث للماضين ولم يستفد مما جرى عليهم :

لم تَـــدعْ حادثـــاتُ هـــذي الليـــالي مـــــنهُمُ أعيُنـــــاً ولا آثـــــارا
وطَـــوَتْ عـــنهُمُ ومـــنهمْ إلى الأحـــ ـــياءِ منّـــا الأنبـــاء والأخبـــارا
ورأينـــا مـــن واعظـــاتِ المواضِـــي لِلبـــواقي مـــا يَمـــلأ الأبصـــارا
غَـــير أنّـــا نَـــزدادُ في كـــلّ يـــومٍ خُـــدَعاً مِـــن زَماننـــا وَاغتـــرارا
(١: ٤٩٣)

- **الشكوى من الدهر الذي يحلو له أن يُنزل المصائب والرزايا** :

لا يخامرنا شكّ أنّ صراع الإنسان مع الزمن قضية لا تختصّ بعصرما أو يحدها زمن بحدوده ، وإنّما هي قضيّة عامة تصوّر موقف الإنسان من الزمن ، سواء أكان

هذا الموقف تصالحياً أم تصادمياً ، وقد عبّر الشعراء في كلّ زمن وعصر عن مواقفهم وإحساسهم بالزمن بلغة شعرية راقية تبتعد عن التقريرية المباشرة في كثير من الأحيان ويكاد يكون إحساسهم بالزمن يقودهم إلى اختيار أسلوب إيحائي يقوم على الكشف عن رؤية الشعراء الداخلية للزمن من خلال إدراكهم له وإحساسهم به ، ولم يستثن الشريف المرتضى من هذا الأمر إذ نراه يلعن الدهر الذي يسلب كل ما يمنحه الإنسان من النعم :

يـا قاتـلَ اللّـه هَـذا الـدّهرَ يزرعنـا ثـمّ الحصـاد فمنـه النّفـعُ والضّـرَرُ
فـإن يكـن معطيـاً شـيئاً فمرتجِـعٌ وَإِنْ يكـن مبطئـاً يومـاً فمبتـدِرُ
(١: ٤٦٣)

ويقول في مكان آخر شاكيا من الدهر الذي فجعه بأصحابه وأصدقائه الشجعان من ذوي المكانات المرموقة واحدا تلو الآخر:

كَـم أَخَـذَ الـدّهر لَنـا صـاحِباً وَكَـم طَـوى في تُربِـه مـا طَـوى
وَكَـم أَمالَـت كَفُّـهُ صَـعْدَةً عالِيـةً شـاهِقَةَ المُرتَقـى
(١: ١٥٦)

ثم يعاتب الدهر الذي يفجعه في كل يوم بصديق أو عزيز على قلبه قائلا :

أَفي كـلِّ يـومٍ أيّهـا الـدّهرُ نكبـةٌ تكـدُّ حيـازيمي فأحمـل كـدَّها
(١: ٣٩٥)

فالهر عند الشريف المرتضى هو من سقاه مرارة فراق الأحبة والأصحاب :

وَسَـقاني الـدّهرُ مِـن فُـرَ قَـةِ مَـن أَهـوى ذنوبـا
(١: ٢١٤)

وفي أبيات أخرى يحذرمن يخاطبه ويحظه على الخوف من الدهر ويذكره بأن الدهر إذا أعطاه شيئا أخذه منه بالتأكيد:

خـفِ الـدّهرَ فـإنّ الـدّهـ ـرَ ذو أخـذٍ وذو سَـلْبِ
فـإنْ أغنـى فللفقـرِ وإنْ أقعـى فللوثـبِ
(١: ٢٥٨)

مذكرا المخاطب بصروف الدهر وأفانينه في مصائبه :

أُنظُـــر إِلى الـــدّهرِ لَمّـــا أنْ ألمَّ بنـــا مـــن أيِّ بـــابٍ إلى مكروهنـــا قصـــدا

(١: ٣٩١)

ولم يستثن أهل البيت (عليهم السلام) مذكرا بما فعلته صروف الدهر بهم فقال :

وحـــوّل الـــدّهر ريّانـــاً إلى ظَمَـــأٍ مـــنكمْ وبـــدّل محـــدوداً بمجـــدودِ

(١: ٤٣٩)

وفي أبيات له مشهورة في رثاء أبي الحسن علي بن هلال الكاتب المعروف بابن البواب أشار إلى أن الدهر لا يعرف الرحمة ولا الشفقة أبدا :

مِـن مِثلِـها كنـتَ تخشـى أيّهـا الحَـذِرُ والـــدَّهرُ إنْ هـــمَّ لا يُبقـــي ولا يَـــذَرُ

(١: ٤٦٢)

ويكمل أبياته تلك مخاطبا الدهر ومتهما إياه بأنه يجني عليه عمدا ولا يعتذر أبدا ، وفي حوار جميل بينه وبين الدهر يسأل الشاعرالدهر حاجة إلا أن الدهر لايجيبه بل يبكم ويخرس عن الإجابة :

جنيـــتَ علينـــا أيّهـــا الـــدّهر عامـــداً ولم تعتـــذرْ أنّـــى ولـــيس لـــك العـــذرُ

وكنـــتُ متـــى أســـأل الـــدّهرَ حاجـــةً تكـــون فيمـــا أتـــى خَـــرِس الـــدّهرُ

(١: ٤٧٠)

لذلك يسعى الشريف المرتضى الى التحذير من صروف الدهر وأن لايأمن الإنسان من شروره لأن الدهر يسلب من الإنسان ما يهبه له في حياته من الأموال والأولاد في طرفة عين :

لا تـــأمننَّ صـــروفَ الـــدهر مُغمِضَـــةً إغمـــاضَ ليـــثٍ مـــن الأرواح مُمتـــارِ

الـــدَّهرُ ســـالبُ مـــا أعطـــى ومانِعُـــهُ فمـــا الصّـــنيعُ بـــدينارٍ وقِنطـــارِ

(١: ٥٢٤)

وينتهي الشريف المرتضى الى حقيقة أبدية تتمثل في أن الدهر لا خير فيه أبدا لأن الشرّلايفارق ساحة الدهر مطلقا :

ولا زلــت منزوعــا مــن الخــير كلــه ولا زال مســـنونا بســـاحتك الشـــر

(١: ٤٧٠)

- **رثاء الإمام الحسين** (عليه السلام)

نظرا لأهمية قصائد الشريف المرتضى الرثائية في لإمام الحسين (عليه السلام) وكثرتها ، لذا أصبح لزاما علينا بأن نشير إلى بعض الموضوعات التي اختصت بها تلك القصائد ، إذ رثا الشاعر الإمام الحسين (عليه السلام) بـ (١٤) قصيدة رثاء إشتملت على (٦٩٦) بيت شعري ، وبعبارة أدق شكلت قصائد الشريف المرتضى في رثاء الإمام الحسين (عليه السلام) ٢٣,٥(٪) من كل أبيات الرثاء التي كتبها الشاعر في حياته ، وقد تعددت المضامين الشعرية للشريف المرتضى في قصائده الرثائية للإمام الحسين (عليه السلام) ومن هذه المضامين مايأتي :

- إعلان يوم عاشوراء يوما للمصيبة والعزاء :

فالشاعر يعلن أن عاشوراء يوم للعزاء والمصيبة وعلى المحب لأهل البيت (عليهم السلام) أن يلتزم في هذا اليوم بالنحيب والبكاء حزنا على سيد الشهداء الإمام الحسين (عليه السلام) فيقول :

لَـــم يَـــدعْ في القَلـــب منّـــي للمَســـــــرّاتِ نَصـــــــيبا

إنّـــــه يَـــــومُ نحيـــــبٍ فَـــــالتَزِمْ فيـــــهِ النّحيبـــــا

(١: ٢١٤)

ومن شدة حزنه يخاطب يوم عاشوراء قائلا :

أيــا يــوم عاشــوراء كــم مــن فجيعــةٍ عــل الغُــرّ آلِ اللّــه كنــتَ نَــزولا

دخلــتَ علــى أبيــاتهمْ بمصــابهمْ ألا بئســما ذاك الــدّخول دُخــولا

(٢: ٣١١)

فهو يلوم هذا اليوم المحزن للفجائع والأحزان التي أنزلها بآل بيت النبوة (عليهم السلام) وماجرى في هذا اليوم على أعز الناس على قلب رسول الله (صلى الله عليه وآله) والمسلمين ، اليوم الذي جعلّ المؤمنين في مصيبة عظيمة .

- مصيبة الحسين (عليه السلام) **رزية للدين ولأمة الإسلام** :

لقد عدّ الشاعر ما فعله الأعداء بحق الإمام الحسين (عليه السلام) كسر لهيبة الدين وإن هذا الإنكسار لايمكن جبره بأي حال من الأحوال فيقول :

كسرتُمُ الدّين ولم تعلموا وكسرةُ الدّين بلا جَبْرِ

(١: ٥٤٠)

وفي قصيدة أخرى يصف المصيبة الكبرى التي نزلت بأمة الإسلام وماسببته هذه المصيبة من فجيعة حلت بدين محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) فيقول :

قتيلاً وجدنا بعده دينَ أحمدٍ فقيداً وعزَّ المسلمين قتيلا

(٢: ٣١١)

- **ذكر ما فعله الأعداء في يوم الطف من فجائع وأعمال قبيحة وشنيعة بحق الإمام الحسين وأهل بيته** (عليهم السلام) :

لقد صور الشريف المرتضى ما فعل الأعداء من فجائع وأعمال شنيعة بالإمام الحسين وأهل بيته (عليهم السلام) في يوم عاشوراء ، كاشفا عن المظلومية الكبرى التي لحقت بهم فضلا عن الصورة الشنيعة التي ظهر بها أعدائه وهي الصورة التي ستبقى تلاحقهم عارها وشنارها على مرّ العصور،ولايمكن أن يسلاها من في قلبه ذرة من حب لأهل البيت (عليهم السلام) .

إن الشريف المرتضى يشير في قصائده تلك يشير الأفعال القبيحة التي مارسها الأعداء بحق معسكر الإمام الحسين (عليه السلام) ومن نماذج تلك الأفعال ماجاء بقوله :

فقلْ لآلِ زيادٍ أيُّ معضلةٍ ركبتموها بتخبيبٍ وتخويدِ

كَيفَ استَلَبتم منَ الشّجعان أمرَهُمُ والحربُ تغلي بأوغادٍ عراديدِ

فرّقتُم الشّملَ ممّن لَفّ شَملَكُمُ وأنتمُ بين تطريدٍ وتشريدِ

(١: ٤٣٩)

فهو يشير غلى أن هؤلاء القاسية قلوبهم قد فرقوا رايات الحق، وسفكوا دماء الأبطال الأبرياء ، وهم بفعلتهم تلك لم يشنوا حربا على أولئك الأبطال فحسب بل أن حربهم وفعلتهم الشنعاء شنوها على كل الأمة الإسلامية فهم خربوا الديار وهتكوا أعراض الشرفاء ، فويل لهم مما مكروا ، وويل لهم يوم لا ينفع مال وبنون ،

والعاقبة الحسنى للمتقين الصابرين ، ولعظمة هذه المصيبة على الإسلام والمسلمين فهو يندب الإمام الحسين (عليه السلام) ويطلب ممن يخاطبهم أن يبكوا على الإمام الحسين وأهل بيته (عليهم السلام) الذين توزعت أشلائهم بين قتيل وجريح أو أسير بيد الأعداء فيقول :

وَابــــكِ حُسَـــيناً والأُلى صُـــرِّعوا أمامَـــــه ســـــطراً إلى ســـــطرِ
ذاقــوا الــرّدى مِــن بعــد مــا ذوّقــوا أمثالَـــــهُ بـــــالبيضِ والسُّـــــمْرِ
قتـــلٌ وأسْـــرٌ بـــأبي مـــنكُمُ مـــن نيـــل بالقتـــل وبالأســـرِ

(١: ٥٣٩)

ثم يعرّج على السبب الذي دفع بالأعداء لفعل فعلتهم الشنيعة تلك ، فيرجعه الى حقدهم الدفين على آل البيت (عليهم السلام) وسعيهم الحثيث للأخذ بثارات يوم بدر ، لذا يصفهم السيد الشريف المرتضى بأنهم ليسوا بمسلمين بل منافقين يبطنون الشرك ويظهرون الإسلام ، فليس فيهم إلا الكاذب المخاتل المنافق وليس بينهخم نجيب ، بل أنهم بعيدون عن كل مايمت الى الخير بصلة ، فيقول فيهم واصفا إياهم :

طَلَبـــوا أَوْتـــارَ بَـــدْرٍ عِنـــدَنا ظُلمـــاً وحُوبـــا
ورَأَوا في ســـاحَةِ الطّـــف وَقَـــد فـــاتَ القلوبـــا
قَـــد رَأَيـــتمْ فَأَرونـــا مـــنكمُ فَـــرداً نَجيبـــا
أَو تَقيّـــاً لا يُرائـــى بِتُقـــاهُ أَو لَبيبـــا
كُلَّمـــا كُنّـــا رُؤوســـاً لِلـــوَرى كُنـــتُم عُجوبـــا
مـــا رَأَينـــا مِـــنكُم بِـــال حـــقٍّ إِلّـــا مُســـتريبا
وَصَـــدوقاً فَـــإِذا فـــت تَشـــتَهُ كـــان كَـــذوبا
وَخَليعـــاً خالِيـــاً عـــنْ مَطمَـــعِ الخَـــير عَزوبـــا

(١: ٢١٦)

لذلك فالشاعر يدعوا عليهم في قصائد متعددة منها قوله :

لَحَـا اللَّـهُ قَومـاً لَـم يُجـازوا جَميلكم لأَنَّكُـــمُ أَحســـنتُمُ وَأَســـاؤوا

(١: ١٦٠)

أو قوله في مكان آخر من قصيدة أخرى :

وَلا شَـــرِبتمْ بِصـــفوٍ لا ولا عَلِقَـــتْ لكـــمْ بنـــانٌ بأزمـــانٍ أراغيـــدِ
وَلا ظفِـرتمْ وقـد جُنّـتْ بكـم نُـوَبٌ مقلقـــلاتٌ بتمهيـــدٍ وتوطيـــدِ

(١: ٤٣٩)

أو قوله مخاطبا إياهم بأنهم ثلة باعوا ضمائرهم ودينهم بدنياهم الزائلة :

وَكَيـفَ بِعـتمْ ديـنَكمْ بالّـذي اِســ ـــتنزره الحـــازمُ واِســـتحقرا

(١: ٤٨٨)

ـ التأكيد على حبه لأهل البيت (عليهم السلام) **واستعداده لنصرتهم** :

بما أن حب أهل البيت (عليهم السلام) وموالاتهم فرض على المسلمين ؛ إذ هذا الحب هو الذي يتجسد فيه حب الله ورسوله (صلى الله عليه وآله) في أوضح وأبهى صورة وأجلاها ،وقد رويت أحاديث كثيرة تؤكد على هذا الموضوع منها أن النبي (صلى الله عليه وآله) قال : « أحبُّوا اللهَ لِما يَغذُوكم به من نِعَمِه ، وأحِبّوني لحبّ الله عزّوجلّ ، وأحِبُّوا أهلَ بيتي لحبّي» (الشيخ الصدوق، ١٤١٧ه، ٢٩٨) ؛ أو قوله (صلى الله عليه وآله) : «حبّي وحبُّ أهل بيتي نافعٌ في سبعة مواطن أهوالُهنّ عظيمة : عند الوفاة ، وفي القبر، وعند النشور، وعند الكتاب ، وعند الحساب ، وعند الميزان ، وعند الصراط » (المجلسي، ١٩٨٣م، ٢٤٨:٧) أو قوله (صلى الله عليه وآله) : «مَن رزَقه اللهُ حبَّ الأئمّة من أهل بيتي فقد أصاب خيرَ الدنيا والآخرة ، فلا يَشُكّنّ أنّه في الجنّة . وإنّ في حبّ أهل بيتي عشرين خصلة : عشرة في الدنيا وعشرة في الآخرة ... » (الطبرسي، ١٣٤٢،١٧٨:١).

وعلى هذا الأساس نلاحظ أن الشريف المرتضى ، هذا الرجل المحب لأهل البيت (عليهم السلام) يدلل على ذلك الحب ويعبّر عنه لهم بقصائده الكثيرة المعبرة عن تمسكه بهم ، وبخاصة الرثائية منها وهي التي تتعلق برثاء الإمام الحسين (عليه السلام) ، فمن قصيدة قال فيها مخاطبا أهل البيت (عليهم السلام) بأنه يحبهم حبا جما ويقسم بالكعبة التي يقصدها الحجيج ويطوفون حولها ويقسم بزمزم وهو الماء المقدس ويقسم بالموقفين وما يضحيه الحجيج في سبيل الله في عيد الأضحى وما الى ذلك من القسم

بكل تلك المقدسات ليؤكد من خلال تلك الأبيات على عظيم حبه لأهل البيت (عليهم السلام) ويتمنى لو مات قبلهم ولا يشهد تلك المصائب والخطوب النازلة بهم فيقول :

أُحبّكم والّذي طاف الحجيجُ به ... بمُبْتَنىً بإزاءِ العرش مقصودِ
وزمزمٍ كلّما قسنا مواردَها ... أوفى وأربى على كلِّ المواريدِ
والموقِفَيْنِ وما ضحَّوْا على عجلٍ ... عند الجِمار من الكومِ المقاحيدِ
وكلّ نُسكٍ تلقّاه القبولُ فما ... أمسى وأصبحَ إلّا غيرَ مردودِ
وأرتضِي أنّني قدْ متُّ قبلكُمُ ... في موقفٍ بالرُّدينيّاتِ مشهودِ

(١: ٤٣٨)

وفي أبيات من قصيدة أخرى يقول :

وَمَن أَرى وُدَّهُمُ وحدَهُ ... زادي إذا وُسِّدتُ في قبري
وَهوَ الّذي أعددتُهُ جُنَّتي ... وعصمتي في ساعةِ الحَشرِ

(١: ٥٤٠)

فهو يعدّ حب آل البيت (عليهم السلام) زاده ليوم الحشر وجُنته الوثيقة من عذاب الله يوم لاينفع مال ولابنون ، وهو إنما يعتقد جازما بأن قوله الشعر فيهم إنما مساعدة ونصرة لقضيتهم العادلة بيده ولسانه فيقول في ذلك :

فلساني يحكي حسامي طويلاً ... بطويلٍ وما الغِرار غِرارا

(١: ٥٠٤)

وهو لايرضى بهذه النصرة البسيطة التي يعبر بها بأبيات من الشعر بسيطة فيعتذر متوسلا بأنه مستعد لبذل الغالي والنفيس بما في ذلك نفسه المحبة لهم ، راضيا في طريق نصرتهم فيقول :

وَلَم أَكُن أَقنع في نَصركمْ ... بنَظْمِ أبياتٍ من الشّعرِ
فَإِنْ تَجلَّتْ غُمَمٌ رُكَّدٌ ... تَركنني وَعْراً على وَعْرِ
رَأَيتُموني وَالقنا شُرَّعٌ ... أبذُلُ فيهنَّ لكمْ نَحْرِي
على مَطا طِرْفٍ خفيفِ الشَّوى ... كأنّه القِدْحُ من الضُّمْرِ

تَخالُـــهُ قَـــد قـــدَّ مِـــن صَـــخرةٍ أو جِيـــبَ إذْ جِيـــبَ مـــن الحَضْـــرِ
أعطـــيكُمُ نفســـي ولا أرتضِـــي في نصـــركمْ بالبـــذل للـــوفْرِ
(١: ٥٤١)

وفي قصيدة أخرى يؤكد فيها هذا المعنى فيقول :

لَستُ أَرضى في نَصركمْ وَقد احتج تمْ إلى النّصـر مِنِّـيَ الأشـعارا
غَـيرَ أنّـي مَتـى نُصـرتمْ بطعـنٍ أو بضـربٍ أسـابق النّصّـارا
وإلى أن يـزول عـن كفَّـيَ المنـ ـعُ خـذوا اليـوم مـن لسـاني انتصـارا
(١: ٥٠٤)

ويؤكد هنا بأنه إن كان الزمان قد أخره ولم يكن حاضرا في واقعة الطف ،ولم يستطع أن يعين الإمام الحسين (عليه السلام) بنفسه فإنه اليوم يساعده بلسانه وأشعاره ويطلب منه أن يتقبل هذه الأشعار التي نظمها بإخلاص وصدق .

ـ الإشارة إلى الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه) للأخذ بثأر الإمام الحسين وأهل بيته (عليهم السلام) :

ورد في دعاء الندبه « أين الطالب بدم المقتول بكربلاء□ وفي عقيدة الإمامية أن الإمام المنتظر (عجل الله تعالى فرجه) بعد ظهوره يأخذ بالانتقام من أعداء أهل البيت (عليهم السلام) وبخاصة قتلة الإمام الحسين (عليه السلام) لعظيم المصائب التي حلت على أهل بيت النبوة في واقعة الطف المريعة .

وفي حديث ينقله الشيخ الصدوق في علل الشرايع : عن أبي حمزة ثابت بن دينار الثمالي قال : سألت أبا جعفر محمد بن علي الباقر (عليه السلام) يا بن رسول الله لم سمّي علي (عليه السلام) بأمير المؤمنين وهو أسمٌ ما سُمي به أحد قبله ولا يحل لأحد بعده ؟ قال : لأنه ميرة العلم يمتار منه ولا يمتار من أحد غيره ، قال فقلت يا بن رسول الله فلم سُمي سيفه ذا الفقار؟ فقال (عليه السلام) : لأنه ما ضرب به أحد من خلق الله إلا أفقره من هذه الدنيا من أهله وولده وأفقره في الآخرة من الجنة ، قال : فقلت يا بن رسول الله فلستم كلكم قايمين بالحق؟ قال : بلى قلت فلم سمي القايم قائما ؟ قال (عليه السلام) : لما قتل جدي الحسين (عليه السلام) ضجّت عليه الملائكة إلى الله تعالى بالبكاء والنحيب وقالوا : إلهنا وسيدنا أتغفل عمن قتل صفوتك وابن صفوتك وخيرتك من خلقك ،

فأوحى الله عز وجل إليهم قرّوا ملائكتي فوعزّتي وجلالي لأنتقمنَّ منهم ولو بعد حين ، ثم كشف الله عز وجل عن الأئمة من ولد الحسين (عليه السلام) للملائكة فسرّت الملائكة بذلك فإذا أحدهم قايم يُصلى فقال الله عز وجل بذلك قائم أنتقم منهم (الشيخ الصدوق، ١٩٦٦م، باب ١٢٩: ١٦٠)

وفي ذلك يقول الشريف المرتضى مشيرا الى ماابتلي به شيعة أهل البيت (عليهم السلام) وكيف أنهم أمروا بالاصبر على البلاء حتى يفرج الله عنهم بظهور الحجة (عجل الله تعالى فرجه) :

وَأُمرنا بِالصّبر كي يأتِيَ الأمـ ـرُ وما كلّنا يطيق اِصطِبارا
وَإذا لَم نَكُن صَبرنا اِختياراً عَن مرادٍ فقد صبرنا اِضطِرارا

(١: ٥٠٥)

وفي مكان آخر يقول مشيرا الى الموعود الذي يظهر ويأتي ليأخذ حق أهل البيت (عليهم السلام) :

متى أرى حقَّكُمُ عائداً إليكُمُ في السّرِّ والجَهْرِ
حَتّى مَتى أُلْوى بموعودكمْ أُمطَلُ من عامٍ إلى شهرِ

(١: ٥٤١)

أو قوله :

فقل لبني حَربٍ وفي القلب منهمُ دفائنُ تبدو عن قليلٍ وتظهرُ
ظَنَنتمْ وَبعضُ الظنّ عَجزٌ وغفلةٌ بأنّ الّذي أسلفتُمُ ليس يُذكرُ
وهيهاتَ تأبى الخيلُ والبيضُ والقنا مجاري دمٍ للفاطميين يُهدَرُ
وَلَستمْ سواءً والّذين غَلبتُمُ ولكنّها الأقدار في القومِ تُقدَرُ
وَلَيسَ لَكُم من بعد أن قد غدرتُمُ بمن لم يكن يوماً من الدّهرِ يغدُرُ
وَلا بدَّ من يَومٍ به الجوّ أغبرٌ وفيه الثرى من كثرةِ القتلِ أحمرُ
وَأنتُمْ بمجتاز السّيولِ كأنّكمْ هَشيمٌ بأيدي العاصفاتِ مطيَّرُ
فَتَهبِطُ مِنكم أَرؤُسٌ كنّ في الذُرا ويخبو لكم ذاك اللّهيب المُسَعَّرُ

ويثـــأرُ مـــنكم ثـــائرٌ طـــال مطلُـــهُ وقـــد تُظفـــر الأيّـــام مـــن لـــيس يَظفـــرُ (١: ٤٧٥)

وفي هذه الأبيات تظهر لهجة الشاعر مهددة لأعداء أهل البيت (عليهم السلام) الذين ارتكبوا هذه الجريمة الشنعاء بأنهم أخطأوا بإراقتهم لدماء الفاطميين إذ سيأتي عليهم يوم صعب جدا ، يظهر فيه من ينتقم منهم فيجعلهم كالهشيم في يوم ريح عاصف ، وستكون عقوبتهم لقاء ماقترفتهم أيديهم من اعتداء على مقام أهل البيت (عليهم السلام) ، الإنتقام منهم بقطع رؤوسهم ، وإراقة دمائهم حتى تحمرّ الأرض من كثرة دمائهم التي ستسيل عليها ، ولا يكون ذلك المنتقم إلا هو ذلك الذي طال غيابه وطال انتظاره .

٢ـ ٢ـ الناحية الفنية:

ونقصد بالناحية الفنية روائع القصائد الرثائية في ديوان الشريف المرتضى أي ما فيها من المحسنات البديعية والبيانية فضلا عن بيان لغة هذه القصائد وأسلوبها والعاطفة فيها ، وفيما يلي بعض هذه الظواهر الفنية :

- **اللغة والعاطفة**:

تتسم لغة القصائد الرثائية التي نظمها الشريف المرتضى بالوضوح والبساطة ، إذ أن كثيرا من الألفاظ فيها واضحة جلية لا غرابة فيها ولا تعقيد ونرى المعاني ترسل على سجيتها لتكتسي من الألفاظ ما يزينها وكل ذلك ظاهر ، وهو واضح وجلي مما ذكرناه سابقا فيما تقدم من نماذج شعرية ، ولعل هذه السهولة والبساطة في هذا النوع من القصائد تعبر عن صدقيتها وعدم تشتيت المتلقي؛ كأن الشاعر أراد التركيز على بيان المصيبة التي حلت عليه بفقد أحد الأحباء والأعزة عليه .

ومما يلفت انتباهنا عند التأمل في قصائد الرثاء أن الشريف المرتضى أكثر من استخدام التكرار والاستفهام فيها ، إذ تعتبر بنية التكرار من إحدى البنى الأسلوبية التي وعاها الشاعر في شعره وسعى إلى استثمار طاقتها لتطوير أداء قصيدته ، ومن نماذج التكرار تلك في شعره تكراره عند رثاء الإمام الحسين (عليه السلام) مخاطبا بني أمية مشيرا إلى فضال أهل البيت (عليهم السلام) فيقول :

هُـــمُ أتْكَـــوْا مـــرافقكمْ وأعطَـــوْا جنـــوبَكُمُ النّمـــارقَ والنّماطـــا

وهـــمْ نَشَـــطوكُمُ مـــن كـــلّ ذُلٍّ حَلَلْـــتُمْ وسْـــطَ عَقْوتِـــه انتشـــاطا
وهُـــمْ سَـــدّوا مَخـــارمكمْ ومـــدّوا علـــى شـــجراتِ دوحكـــمُ اللِّياطـــا
(٢: ٣٧)

أو قوله في قصيدة أخرى:

فَقُـــل لِسـيوفِ الهنـدِ مـن بعـد فقـده تنـاهَيْنَ مـا فـيكنّ ضـربٌ لضـاربِ
وَقـــلْ لِطـــوالِ الخَـــطِّ يُركَـــزْن فالّـــذي سَـــقَتْكُنَّ يمنـــاهُ مضـــى غـــيرَ آئـــبِ
وَقُـــل لِجيـــادِ القُـــودِ لَســـتنَّ بعـــد مـــا تـــولّى جـــديراتٍ بركبـــةِ راكـــبِ
وَقُـــل لِلمُغيريـــن الّـــذين تعـــوّدوا زِحـــامَ العـــوالي في صـــدور الكتائـــبِ
(١: ٢٥٠)

ونستطيع أن نرى نماذج الاستفهام في شعره في : (١: ١٤٩؛ ١: ١٥٩؛ ١: ٢٣٤؛ ١: ٢٣٤؛ ١: ٢٣٥؛ ١: ٢٤٣؛ ١: ٣٩٤ و.. ؛ .. ٢: ٦٩؛ ٢: ١٧١؛ ..) ، غذ نلاحظ أحيانا أنه بدأ القصيدة بالاستفهام ، وكأنه لا يصدق أبدا حلول المصيبة عليه ، فمثلا نلاحظ استخدامه لاسلوب الإستفهام في قصيدته التي مطلعها :

ألا هـــلْ أتاهـــا كيـــف حُزنِـــيَ بعـــدها وأنّ دمـــوعي لســـت أملـــك رَدّهـــا
(١: ٣٩٤)

أو في قوله شعرا في رثاء فخر الملك :

أَلا هَـــل لمـــا فـــات مـــن مطلـــبِ وهـــل عـــن ردَى المـــرءِ مـــن مَهـــرَبِ
(١: ٢٣٤)

وهذا استفهام إنكاري بمعنى أنه لا مفر ولا مهرب من الموت .

وبحثنا عن التكرار والاستفهام هنا لأنهما يرتبطان شديد الارتباط بالعاطفة ؛ وهي التي قادت الشاعر لاستخدامهما ،

إذ يقول مخاطبا لمن يصاب بفقد عزيز عليه :

وشـــقّوا القلـــوبَ مَكـــانَ الجُيـــوبِ وجُـــزّوا مكـــانَ الشّـــعورِ الطُّلـــى
(١: ١٤٩)

إن العاطفة الجياشه هي التي جعلت الشاعر يطلب ممن فقد عزيزا أن يشق القلوب مكان الجيوب وهذا إشارة إلى عظمة المصيبة بفقد المرثي .

كما نلاحظ أنه يرى الحيوانات والعناصر الطبيعية كلها شريكة له في هذا العزاء والمصيبة فهو القائل في قصدته الرثائية للإمام الحسين (عليه السلام):

حَمـــائمُ الأيـــكِ تَبكـــيهمْ علـــى فَـــنَنٍ مُـــــرنّحٍ بنســـــيم الـــــرّيح أُملـــــودِ
نـــوحِي فـــذاك هـــديرٌ منـــك مُحتَسَـــبٌ علـــــى حســـــينٍ فتعديـــــدٌ كتغريـــــدِ

(١: ٤٣٨)

ونلاحظ أن عاطفة الشاعر قد أثرت على لغته الشعرية إذ أن «القيم الشعورية والقيم التعبيرية كلتاهما وحدة لا انفصام لها في العمل الأدبي وليست الصورة التعبيرية إلا ثمرة للانفعال بالتجربة الشعورية وليست القيمة الشعورية إلا ما استطاعت الألفاظ أن تصوره وأن تنقله إلى مشاعر الآخرين» (سيد قطب، ١٩٦٦م، ١٩)، ولا شك أن الرثاء ينبعث عن العاطفة الصادقة العميقة في القلب غير المتكلف ، والشاعر يعبر أحيانا عن تلهفه لبعض الأصدقاء والأحبة ويخصص بعض القصائد لهذا الموضوع .

لقد حاول الشاعر أن يلائم بين الألفاظ والمعاني كما أن المتأمل في القصائد يدرك هذا الأمر واضحا فمثلا نلاحظ أن ألفاظا كـ «القلب» «الدمع» «الدم» «الصبر» «الدهر» «صباح» «مساء»، تتكرر كثيرا؛ وهي التي تتعلق بالرثاء وتساعد الشاعر في بيان ما هو بصدد بيانه ، لأن القلب هو الذي يحترق عند المصيبة ، والدمع هو يجري من العين ، بل أن المصاب يتمنى أحيانا أن يبكي بدل الدمع دما .

ولا يفوتنا التنويه هنا على أننا وإن نلاحظ بعض المشتركات بين هذه القصائد الرثائية وكأن بعضها يحاكي البعض الآخر إلا أن كل قصيدة تنفرد بما يجيش به خيال الشاعر وما تجيش به عاطفته الوقادة تجاه المصيبة وما يحمله فنه الشعري من صور وتداعيات دلالية .

- **الأسلوب** :

من أهم الميزات الأسلوبية للقصائد الرثائية عند الشريف المرتضى مايأتي :

ـ استخدام المحسنات البيانية والبديعية:

لا يخامرنا شك في أن «الخيال بوصفه قوة تركيبية سحرية هو المسئول عن خلق التوازن والتوفيق بين الصفات المتضادة في التجربة التوافق بين حالة غير عادية من الانفعال ودرجة عالية من النظام بين الحماس البالغ وضبط النفس المتواصل وللخيال أثره في تعديل سلسلة الأفكار واتساقها استجابة لمحفز واحد أو انفعال لحظة معينة» (ريتشارد، د. ت، ٣١٢) ، ومن أهم هذه المحسنات في قصائد الرثاء في ديوان الشريف المرتضى مايأتي :

- الاقتباس من القران الكريم .
- تضمين الحديث الشريف وأقوال أئمة أهل البيت (عليهم السلام) .
- التضاد .
- التجنيس .
- الصور الشعرية خاصة التشبيه .

١. **الاقتباس من القرآن الكريم**:

إن من أهم الومضات أسلوبية الواضحة في رثاء الشريف المرتضى إقتباسه من القرآن الكريم به شعره ، ولقد أغنى ذلك الإقتباس من الآيات القرآنية الكريمة شعره بالمضامين العالية والمفاهيم المتعالية فضلا عن أن اقتباس ألفاظ القرآن الكريم يمنح الشعر جمالا ولطفا كبيرَين ،كما أنه يساعد الشاعر للتأكيد على المعنى ويدلل للقارئ على مدى ثقافة الشاعر واطلاعه على الآيات القرآنية ومضامينها ، من نماذج اقتباس الشاعر الآيات القرآنية الكريمة في شعره قوله مثلا :

فَـإِنْ تَـرَهمْ في القـاع نَثـراً فشـملهمْ بجنّـاتِ عَـدْنٍ جـامعٌ متـألّفُ
(٢: ١١٦)

مشيرا إلى مصيبة الإمام الحسين (عليه السلام) وأشلائهم المتناثرة في الصحراء ولكن تلك الأشلاء المتناثرة سيجمعها الله في جنات عدن وهذه العبارة مقتبسة من القرآن الكريم من قوله تعالى :﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ ﴾ ﴿التوبة ٩: ٧٢﴾. أو في بيت آخر كنى بـ «غدا» عن يوم القيامة إذ قال :

إنّ الّـتي أضـرمتْ أحشـاءَنا جزَعـاً تلقـاك منهـا غـداً في الجنّـةِ الزُّلـفُ

(٢: ١١٠)

مقتبسا قوله تعالى:﴿ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ ﴿٢٦﴾ ﴾ ﴿القمر ٥٤: ٢٦﴾ .

وقال في مكان آخر :

تَقولـونَ لِـي صـبراً جمـيلاً ولـيس لِـي علـى الصّـبرِ إلّـا حسـرةٌ وتَلَهُّـفُ

(٢: ١١٥)

وعبارة «صبرا جميلا» مقتبسة من القرآن الكريم بقوله تعالى : ﴿ فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴾ ﴿المعارج ٧٠: ٥﴾ .

وقال في قصيدة أخرى منها هذا البيت :

كـم ذا نخيـبُ وتكـذب الأطمـاعُ والنّـاس في دار الغـرور رِتـاعُ

(٢: ٥٠)

وعبارة دار الغرور في البيت إشارة إلى ما ورد في الآية الكريمة إذ أن الله سبحانه سمى الدنيا ومتاعها بمتاع الغرور: ﴿ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾ ﴿الحديد ٥٧: ٢٠﴾ .

وقال في خاتمة قصيدة رثائية يرثي بها أحد رؤساء العرب :

وخصّـك يـومَ مَفَـرِّ العبـا دِ بـالعَطَنِ الأفسـحِ الأرغـدِ

(١: ٤٤٤)

وعبارة يوم مفر العباد في الحقيقة إشارة إلى ما وصف الله به يوم القيامة به في هذه الآية الكريمة : ﴿ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾ ﴾ ﴿عبس ٨٠: ٣٤- ٣٧﴾ .

وفي قصيدة أخرى قال :

وَمَتـى ذهبـتَ بزلّـةٍ فـإلى الّـذي يمحـو جرائـر مَـن يشـاء ويغفِـرُ

(١: ٤٦٨)

وفي هذا البيت الشعري إشارة إلى الآية الكريمة : ﴿ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ﴾ ﴿الفتح ٤٨: ١٤﴾

ومن الملاحظ أيضا أن الشاعر استفاد من المضامين القرآنية فضلا عن الإقتباس المباشر في شعره فقد ضمّن كثيرا من قصائده الرثائية مفهوما قرآنيا يركز على أن الإنسان لن يبقى على الأرض وهو فان وأن الموت نصيبه ، فكل إنسان سيذوق طعم الموت ولن يبقى الا وجهه جلّ وعلا مستفيدا من ماجاء في قوله تعالى : ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ ﴾ ﴿الرحمن ٥٥: ٢٦- ٢٧﴾ ، أو قوله تعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾ ﴿آل عمران ٣: ١٨٥؛ الأنبياء ٢١: ٣٥، العنكبوت ٢٩: ٥٧﴾، لقد استفاد الشريف المرتضى من المضامين التي جاءت في هذه الايات القرآنية فقال:

ذاق الـــــرّدى متكِـــــرّمٌ ومبخّـــــلٌ وأتـــى الحِمـــامَ معجّـــلٌ ومعمّـــرُ

(١: ٤٧١)

إذ لافرق بين الإنسان المتكرم والمبخل وبين الشباب والشيب ، فالكل ذائق الموت ، وقال في قصيدة أخرى إنه لا مفر من الموت وإن لم يزر الموت الإنسان في يومه فإنه لا محالة زائره غدا أو بعد غد:

والمـوتُ إنْ لم يـزرْ يومـاً ففِـي غـدِهِ والمـرءُ إنْ لم يـرُحْ سـعياً إليـه غـدا

(١: ٣٩١)

وهذا من المضمون القرآني :﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ﴾ ﴿النساء ٤: ٧٨﴾ ، وكذلك قوله تعالى : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾ ﴿آل عمران ٣: ١٨٥؛ الأنبياء ٢١: ٣٥، العنكبوت ٢٩: ٥٧﴾.

وقال في رثاء الإمام الحسين (عليه السلام):

لَقِـــي اللّـــهَ وَظَـــنَّ الـــ ـــناسُ أَن لاقـــى شـــعوبا

وَهـــوَ فِي الفِـــرْدَوسِ لَمّـــا قيـــلَ قَـــد حَـــلَّ الجُبوبـــا

(١: ٢١٧)

مشيرا إلى أن الإمام (عليه السلام) قد لقي الله واستشهد في سبيله تعالى ، ولكن الناس يحسبونه ميتا في حين أنه نزل في الفردوس وفي جوار الله سبحانه ، ومضمون البيتين مقتبس من مضمون الآية الكريمة : (وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَا ، وكرر الشاعر هذا المعنى في قصيدة أخرى منها هذا البيت :

أنتُمْ عَلى اللّه نزولٌ وإن خالَ أُناسٌ أنّكمْ في الثَّرى

(١: ٤٨٩)

وقال في قصيدة أخرى في رثاء الإمام الحسين (عليه السلام) موضحا أن أهل البيت(عليهم السلام) ذووا نعمة وفضل وهبهم الله تعالى إياها وبما أن كل ذي نعمة محسود فحسدهم الناس على ذلك الفضل ولذلك بادروا في إبداء العداوة والبغضاء لهم :

حُسدتمُ الفضلَ لم يُحرزه غيركُمُ والناس ما بين محرومٍ ومحسودِ

(١: ٤٣٨)

وهذا الأمريذكرنا بالآية الكريمة :﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ ﴿النساء ٤: ٥٤﴾

وقال مخاطبا آل بيت النبي (صلوات الله عليهم أجمعين) بأن الله صلى عليهم :

صلَّى عليكمْ ربُّكمْ وارتَوَتْ قبوركمْ من مُسبِلٍ مُثْجِمِ

(٢: ٤٨٥)

وفي البيت إشارة إلى الآية القرآنية الكريمة : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ ﴿الأحزاب ٣٣: ٥٦﴾.

ويخاطب أهل البيت (عليهم السلام) قائلا :

يا بَني الوحي والرّسالة والتَّطـ ـهير من ربّهمْ لهمْ إكبارا

(١: ٥٠٣)

ولا شك أن في البيت إشارة واضحة إلى آية التطهير إذ قال تعالى : ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ ﴿الأحزاب ٣٣: ٣٣﴾

٢. **تضمين الحديث الشريف وأقوال أئمة أهل البيت** (عليهم السلام) :

إن من الجماليات التي امتازت بها قصائد الشريف المرتضى تضمينه الحديث الشريف في شعره ومن نماذج ذلك التضمين قوله :

لَـــم يَكونـــوا زينـــاً لِقـــومهمُ الغـــر ِ ولكـــن شـــيناً طـــويلاً وعـــارا

(١: ٥٠١)

وفي هذا البيت وصف لأعداء أهل البيت (عليهم السلام) إذ يصفهم بأنهم كانوا عارا وعيبا ولم يكونوا زينة قومهم لما ارتكبوه من أعمال شنيعة بحق أهل البيت (عليهم السلام) وهذا مشتق من قول الإمام الصادق (عليه السلام) : «يا مَعْشَر الشّيعَةِ إنّكمْ قَدْ نُسِبْتُمْ إلَينا كونُوا لَنا زَيْناً وَلا تَكونُوا عَلَيْنا شَيْناً» (المجلسي، ١٩٨٣م، ٦٨: ٣١٠) .

وَتَيَقَّنـــــــوا أنّ الحَيـــــــا ةَ مـــــع المذلّـــــةِ كالممـــــاتِ

(١: ٢٩٢)

وفي هذا البيت الشعري إشارة واضحة إلى قول الإمام الحسين (عليه السلام) : «هيهات من الذلة□ (المجلسي، ١٩٨٣م، ٤٥: ٨٣؛ قمي، ١٣٧٨،١٣١) ؛ وهو الشعارالذي أصبح علامة فارقة ومميزة لشيعة أهل البيت (عليهم السلام) في أغلب ثوراتهم ؛ وأصبح مصدر عزتهم لأن كل شعب إذا استطاع أن يدخل هذا الشعار في حيز التطبيق ويعمل به لن يذل أبدا وبإمكانه أن يحفظ استقلاله وعزته وشرفه ويحافظ على بلده وعرضه أمام المتجاوين من الأعداء .

وأحواضُـــهم مـــورودةٌ فعـــدوّهم يُحَلّـــا وأصـــحابُ الولايـــةِ تَرْشُـــفُ

(٢: ١١٦)

وفي قول الشريف المرتضى في هذا البيت إشارة واضحة الى قول رسول الله(ﷺ) لعلي أمير المؤمنين (عليه السلام) : «يَا عَلِيُّ! تَرِدُ عَلَيَّ الْحَوْضَ وَشِيعَتُكَ رِوَآءً مَرْوِيِّينَ، وَيَرِدُ عَلَيْكَ عَدُوُّكَ ظِمآءً مُقْمَحِينَ» (ابن شهر آشوب، د.ت، ١: ٣٥٠):

وقال في بيت آخر مستفيدا من الحديث النبوي الشريف ، ناقلا قول الإمام الرضا (عليه السلام) : «ولقد سمعت أبي يحدث عن آبائه عن علي عليه السلام أنه قال : قال لي رسول الله : ياعلي أنت قسيم الجنة والنار يوم القيامة تقول للنار: هذا لي وهذا لك» (الشيخ صدوق، ١٣٩٦ه، ٣٦٩) فضمن المفاهيم التي وردت في هذا الحديث فقال :

قَـــد جَعَـــل اللّـــه إِلَـــيكمْ كمـــا علمـــــتُمُ المبعـــــثَ والمحشـــــرا

(١: ٤٨٩)

٣. التضاد:

كأنّ الشاعر أدرك ما يخلفه هذا الأسلوب من أثر نفسي في المتلقي كما أشار إلى هذا الأمر علماء العرب القدامى كالجرجاني إذ شبهه بالسحر قائلا : «وهل تشك في أنه يعمل عمل السحر في تأليف المتباينين حتى يختصر بُعد ما بين المشرق والمغرب ويجمع ما بين المشئم والمعرق .. وينطلق لك الأخرس .. ويريك التئام عين الأضداد فيأتيك بالحياة والموت مجموعين والماء والنار مجتمعين» (الجرجاني، ١٩٩٨م، ١٠٧) .

لذلك استخدم الشريف المرتضى هذا الأسلوب في بعض من قصائده ومنها قوله:

فـإنْ كنـتَ مغـروراً بمـن سمحـتْ بـه صـروف اللّيـالي فهـي تُعطـي وتمنـعُ

(٢: ٥٦)

فالتضاد بين «تعطي» و«تمنع» في البيت واضح بأنهما من صفات الدهر الذي لا اعتماد عليه بما يمنح لأنه ما إن وهب شيئا حتى طفق يأخذه ، وهذا التضاد هنا يدلل على عمل الدهر المتناقض وعدم ثباته في عمله .

وفي وصفه حاله بعد فراق أحد الذين رثاهم مستخدما التضاد استخداما حسنا فهو بهذا التضاد يقارن حاله بعد موته بحاله قبل الموت :

وعوَّضَـــــني بالرّقـــــادِ السُّـــــهادَ وأبـــــدلنِي بالضّـــــياءِ السَّـــــدَفْ

(٢: ١٤٧)

وبما أن كل شيء يعرف بضده أفضل فهنا السدف وهو سواد الليل ضد النور الذي مثّل به الشريف المرتضى من رثاه قبل موته ، كما أن السهاد يقابل الرقاد والنوم وأنه بعد فقد المرثي لا نوم له أبدا .

وقال أيضا:

سَـــلامُ اللّـــه تنقلُـــهُ اللّيـــالِي ويُهديـــهِ الغُـــدوُّ إلى الـــرّواحِ

(١: ٣٤٨)

والتضاد هنا بين «الغدو» و«الرواح» وهو يدل على العموم ؛ فالشاعر أراد في هذه الصورة أن يبين أنه يريد أن يصل سلامه الى من يرثيه دوما وبين هذا المعنى من خلال التضاد بين الغدو والرواح ، كما أن معنى العموم والشمول مفهوم في الأبيات التالية:

واللّيـــل كالصّـــبح لنفـــع الـــورى والسُّـــمرُ كـــالبيضِ لـــدَى الحـــربِ
فلـــيس فـــيهمْ كلُّهـــمْ واحـــدٌ ســـادَ جميـــعَ العُجْـــمِ والعُـــرْبِ
فَـــافخرْ علـــى القـــومِ الأُلى سُـــوِّدوا في الشّـــرق إنْ شـــئتَ وفي الغـــربِ

(١: ٢٤٤)

إذ يشير فيها إلى أن سيادة قوم الفقيد تعم جميع الناس ، من العرب والعجم ، الذين شمل ملكهم الشرق والغرب ، وليست هناك أرض إلا وهم قد سادوا عليها ، فضلا عن أن عطائهم موصول إلى الناس أجمعين ، في الصباح والليل ، مشبها ذلك العطاء من المنح والهبات الى الناس بالضياء الذي يمحو سواد الليل ويحوله إلى الصبح في نوره وإشراقه .

ويبدو أن الكلمات المؤلفة لبنية التضاد غالبا ماتعمل على إنجاز مفارقة دلالية وصورية فيما بينها عبر عنصر الصراع الذي يحصل عادة بين المتضادات فـ «بما أن الكلمات المتضادة تصر دائما على إقصاء بعضها البعض فإنها تصبح سجينة طاحونة من الانزياحات المختلفة والممكنة التي توهم بنية مفتوحة مستحيلة الإنهاء وذات نهاية اعتباطية» (كرستيفا، ١٩٩١م، ٢٥).

والشريف المرتضى استخدم صورة التضاد هذه لبيان التقابل بين الصورتين .. ويظهر ذلك لنا جليا عندما نقرأ البيت الآتي :

فَـــإِنْ يـــكُ قَـــومٌ وُصـــلةً لِجَهـــنّمٍ فَـــأنتمْ إِلى خُلـــدِ الجنـــانِ رِشـــاءُ

(١: ١٦٠)

ومن هذه الصور التقابلية التي تثبت في التضاد ما ذكره الشاعر في هذا البيت :

فَـــرَقَ الزَّمـــانُ ومـــا درى مـــا بيننـــا والـــدّهرُ مِفـــراقٌ لنـــا مِجْمـــاعُ

(٢: ٥٢)

إذ يصور لنا الناس في حاله الجمع دائما ولكن الدهر هو الذي يفرق ما جمعه الناس ، إذ يخاطب أهل بيت النبي (صلوات الله عليهم أجمعين) مقارنا بينهم وبين أعدائهم ، فهم سبب نجاة الناس لأنهم الحبل الممدود الذي يوصل الناس إلى جنان الخلد ، في الوقت الذي يمثل فيه أعدائهم الحبل الممدود الى الجحيم فهم سبب هلاك الناس وومن يوردهم موارد الهلكة والنار ، فالنارهنا تقابل خلد الجنان والتضاد هنا يبين هذا التقابل.

ويستخدم هذا التقابل لبيان حال أعداء أهل البيت (عليهم السلام) بشكل مثيرفي قصيدة أخرى قال فيها مخاطبا إياهم :

والّـــــذي يحلـــــو بـــــأفوا هِكُـــــمُ اليـــــومَ حميضـــــا

وقِبابـــــــاً أنـــــــتُمُ في هـــــا وهـــــاداً وحضيضـــــا

(٢: ٢٤)

موضحا على أن كل ما كان ذا حلاوة في هذه الدنيا سيكون في أفواههم حميضا وأن القباب التي بنوها وكانت عالية مرتفعة ستكون الى زوال بسبب عدائهم ذلك .

ولقد لاحظنا كيف أن بنية التضاد التي تعدّ من إحدى البنى الأسلوبية في القصيدة الشعرية تغني النص الشعري بالتوتر والعمق والإثارة وتقوم على الجدل الديالكتيك الذي يعني وجود حالة تناقض وصراع وتقابل بين أطراف الصورة الشعرية وغالبا ما تكون الثنائيات الضدية هي العنصر الأكثر أهمية بين مكونات

النص الشعري والشاعر الحاذق هو الذي «يحاول مزج المتناقضات في كيان واحد يعانق في إطاره الشيء نقيضه ويمتزج منه بعض خصائصه ومضيفا عليه بعض سماته تعبيرا عن الحالات النفسية والأحاسيس الغامضة المهمة التي تتعانق فيها المشاعر المتضادة» (عشري زايد، ١٨٤).

٤. **بنية الصور**:

صور الأخيلة في شعر الشريف المرتضى متنوعة مختلفة وأساس هذه الصور هو التشبيه والاستعاره ، لأن الشاعر يريد أن يخلق إحساسا أو شعورا في العقل بواسطة هذه الصور ليدرك المتلقي أو المخاطب ما هو الشاعر بصدد بيانه وهو مادي ، والشاعر يستطيع أن يثير من خلال تلك الصور مدارك حسية في متلقيها ، أي يحاول الشاعر أن يجسم الأشياء أو الأفكار في أشكال محسوسة يمكن العين المبصرة من رؤيتها عن طريق المخيلة ، والمهم أن للشاعر في تشكيل صوره الشعرية قدرة التميز لإنشاء الصلات اللغوية بين المفردات ، لأن هذا الانتقاء يكشف عن قدرة الشاعر على التركيز والتكشيف ورصد أبعاد تجربته الشعرية .

وندرج هنا بعض نماذج الصور المصوغة من التشبيه والاستعارة ، والجدير بالذكر أن الشريف المرتضى ذكر في إحدى قصائده في وصف حاله بعد فقد من يرثيه بالإعتماد على هذه المضامين التي أشرنا إليها في السابق فيقول :

كَـــأَنّني ســـــارٍ عَلـــى قَفـــرةٍ مَســـلوبَةٍ أَعلامُهـــا وَالصُّـــوى
أَو مُـــنفِضٍ مِـــن كـــلِّ أَزوادِه يَحـــرِقُ القَـــيظ بِنـــارِ الصَّـــدى
(١: ١٥٥)

إذ شبه الشاعر حاله في البيتين بمن يسير في مفازة لا نهاية لها ولا أعلام لها ليهتدي الضال بها أو كمن نفد زاده في هذه الصحراء الكبيرة واشتدت الحرارة عليه ولا ماء له وهو ظمآن جدا .

كما وصف نفسه في قصيدة أخرى مشبها إياها بناقة ذلولة يجذبها كف الراعي ليسيرها كيف شاء :

أُســاقُ إلى الأحــزانِ مــن كــلِّ وُجْهَــةٍ كَــأَنّي ذَلــولٌ في أكــفِّ الجــواذِبِ

(١: ٢٤٩)

أو قال يصف شمائل المرثي في حياته مشيرا إلى مناقبه مشبها إياه بنار كان الناس يهتدون بها ، إلا أن هذه النار قد انطفأت بموت من يرثيه ، ووجه الشبه في كلا التشبيهين النور والهداية ، والمتتبع لشعر الشريف المرتضى سيرى أن هذا التشبيه تكرر في مواضع عدة في رثائه (١: ٤٣٧؛ ١: ١٩٥؛ ١: ٤٦٤، ١: ٥٢٥؛ و..) :

كَانَ كَنارٍ أُضرمت وَانطَفت أَو بارِقٍ ما لاحَ حتّى انجَلى
أَو كَوكَبٍ ما لحظتْ نورَهُ في أُفقِه العَينانِ حتّى خوى

(١: ١٥٦)

ويضهر ذلك جليا عندما رثى أهل البيت (عليهم السلام) مشبها إياهم بالشموس والبدور مبينا أن الناس كانوا يهتدون بهم وكانوا ملجأ الناس في حل المشاكل ، إلا أن أعدائهم ذهبوا بكل تلك الأنوار وأفنوها :

فَلَقد طَوَين شموسَنا وبُدورَنا في المشكلاتِ

(١: ٢٩٥)

أو قوله معزيا القادر العباسي في ولده :

نَجمانِ هَذا طالعٌ إيماضه مَلأ العيونَ وذاك عنّا يغرُبُ
أَو نعمتانِ فَهذهِ مَتروكةٌ مذخورة أبداً وأُخرى تُسلبُ
أَصلٌ لهُ غُصنانِ هذا ذابلٌ ذاوٍ وهذا ناضرٌ متشعّبُ

(١: ١٩٥)

شبه المرثي والذي أصيب بموته بنجمين جمعا النور والهداية ، وبنعمتين جمعا البركة والنفع للناس ، وبغصنين لأصل واحد تجتمع فيه الأصالة ، وأشار إلى الفرق بينهما بأن الكوكب الأول طالع نوره ولكن الثاني قد خبا ضوءه وأن أحدهما يشبه النعمة المتروكة والثاني كالنعمة المذخورة ، منتهيا الى أن أحد الغصنين ذبل وسقط

ولكن الثاني باق تتشعب منه الأغصان الأخرى ، في أشارة واضحة إلى أن القادر العباسي سيولد له الأولاد ويزداد نسله جيلا بعد جيل .

وفي قصيدة أخرى رثى بها والدة الشريف آمرا أن يلبس الأحزان لباس القانع ، كأنه شبه الأحزان بإنسان يلبس ومراد الشاعر من قوله هنا الحظّ على الصبر والتجلد

ألا فَـالبَس الأحـزانَ لبسـةَ قـانعٍ بأثوابـه لا يبتغِـي أن يُجـدَّها

(١: ٣٩٥)

وقال مادحا أحد من رثاهم مبينا أنه كان يزيل الهم والرزايا عنه كلّ المشاكل عندما كان حيا كما يُمحى الحبر الأسود من القرطاس :

ولَـئِنْ رُزِئـتُ فقـد محـوتَ رزيّـتي بيـديك مَحْـوَ الـنِّقْس مـن قِرطـاس

(١: ٥٨١)

وقال مشبها البقاء الذي يتنافس عليه كثير من الناس بأنه كالغمام الذي يمر بسرعة أو يشبه البرق الذي يظهر في السماء فجأة ويزول :

مـاذا التنـافسُ في البقـاءِ وَإِنّمـا هُـوَ عـارِضٌ مـاضٍ وبـرقٌ خُلَّـبُ

(١: ١٩٥)

كما شبه الشاعر نفسه التي تتحمل مشكلات الحياة وأثقالها ومصائب الدهر وفجائعه بالجمل المسن الذي يتحمل الأعباء الثقيلة :

وأغضـي علـى مـا آد ظهـري كـأنني علـى حـدثان الـدهر عـود مـذلل

(١: ٢٥١)

- **خاتمة الأشعار**:

إن من أهم ميزات أسلوبية القصيدة الرثائية في ديوان الشريف المرتضى أنه جعل خواتم قصائده جميلة مرتبطة بموضوع القصيدة التي كتب من أجلها ، ومن أهم الأغراض الشعرية التي ذكرت في خواتيم قصائده مايأتي

ـ الدعاء للمرثي بأن يسقي الله تعالى قبره :

قال في رثاء صديق له:

وَمـــا لِـــيَ أَستســـقِي الغمـــامَ لقـــبرِهِ وقـــد نُبْـــتُ عنـــه بالـــدّموع السّـــواكبِ

(١: ٢٢٥)

فهو لا يرضى أن يمطر السحاب على قبره بل يريد أن يذرف الدموع على قبره ويسقيه بتلك الدموع .

وفي خاتمة قصيدة رثى بها الإمام الحسين (عليه السلام) نراه متحيرا يسأل نفسه كيف يطلب نزول الرحمة على قبره في حين أن الإمام هو الرحمة بعينها :

وَكيـــفَ أَستَســـقِي لَكـــمْ رحمـــةً وأَنـــــتمُ الرّحمـــــةُ للمجـــــرمِ

(٢: ٤٨٦)

ـ الدعوة إلى الصبر والسلوان على المصيبة:

قال في خاتمة قصيدة عزى بها القادر العباسي بولده :

وَاســـلُكْ بِنـــا سُـــبُلَ الســـلُوّ فإنّنـــا بِـــكَ نَقتَـــدي وَإلى طريقـــك نـــذهبُ

(١: ١٩٦)

داعيا إلى السلوان والصبر لأن القادر كان يدعو إليهما دائما قبل حلول هذه المصيبة عليه .

ـ الإشادة بخصال المرثي وتهنئة الحاكم الجديد:

قال في رثاء القادر بالله مهنئا القائم وقد بويع له :

ومَيْـــتٌ لـــه جُـــدُدٌ مـــا بَلـــين مـــــآثرُهُ لا يَمَـــــسُّ البِلـــــى

وَإنْ غـــابَ مِـــن بَعـــدِ طـــولِ المَـــدى فَإنَّـــــك أَطـــــوَلُ منـــــهُ بقـــــا

(١: ١٤٩)

ـ الإشارة إلى أن الله سيغفر للمرثي بسبب أعماله الصالحه :

قال في خاتمة رثاء أحد رؤساء العرب :

وحيَّـــاك ربّـــك عنـــد اللّقـــاءِ بعفـــــوٍ ومغفـــــرةٍ سَـــــرمَدِ

وخصّـــك يـــومَ مَفَـــرِّ العبـــا دِ بـــالعَطَنِ الأفســـحِ الأرغـــدِ

(١: ٤٤٤)

ـ إعلان نصرته أهل البيت (عليهم السلام) في يوم الطف :

وذلك في خاتمة بعض قصائده الرثائية للإمام الحسين (عليه السلام):

فلو انّني شاهدتُهمْ بين العِدا والكُفْرُ مُعْلَوْلٍ على الإيمان
لَخَضَبْتُ سيفي من نجيع عدوّهمْ ومحوتُ من دمهمْ حُجول حصاني
ولَبعْتُهُمْ نفسي على ضَنٍّ بها يومَ الطُّفُوفِ بأرْخصِ الأثْمانِ

(٢: ٥٦١)

ـ ذكر أنه يشارك الباقين في عزاء المرثي :

قال في خاتمة قصيدة رثاه بها الأستاذ أبا الحسن محمد بن الفلفل مشيرا الى أنه يشارك صاحب العزاء في تحمل المصيبة التي حلت به .:

فلا تحملنَّ العِبْءَ وحدَك كلَّهُ فإنّي على الأعباءِ خيرُ معينِ

(٢: ٥٤٣)

ـ بيان شدة حزنه بأنه لن يزول طوال الدهر:

قال في خاتمة رثائه لأصدقائه :

وإنْ زال شجوٌ عن قلوبٍ شجيّةٍ فحزني عليك الدّهرَ ليس بزائلِ

(٢: ٣٨٣)

ـ الدعاء للمرثي بأن يكون من ساكني الجنة :

قال في خاتمة قصيدة رثى بها أبا الحسين الأقساسي العلوي:

وصيّرك اللّهُ من قاطِني ال جنانِ وسكّانِ تلك الغُرَفْ
تُجاور آباءك الطّاهرين ويتّبعُ السّالفين الخَلَفْ

(٢: ١٤٨)

ـ الدعاء على أعداء أهل البيت (عليهم السلام) :

قال في خاتمة قصيدة له في رثاء الإمام الحسين (عليه السلام) مخاطبا أعداءه داعيا عليهم :

وَلا عَرفت رؤوسُكُمُ ارتفاعاً ولا أَلِفَتْ قلوبُكُمُ اغتباطا

وَلا غفـــرَ الإلـــهُ لكـــمْ ذنوبـــاً ولا جُـــزتمْ هنـــالِكمُ الصِّـــراطا
(٢: ٣٨)

ـ الإشارة إلى كثرة دموعه :

قال في رثاء الإمام الحسين (عليه السلام) خاتما قصيدته بهذا البيت مشيرا إلى كثرة دموعه التي لا تتوقف حزنا على الإمام الحسين (عليه السلام) :

فلِـــي دمـــوعٌ تُبـــارِي القَطـــر واكِفـــةٌ جـادتْ وإن لم أقـلْ يـا أَدمعِـي جـودِي
(١: ٤٣٩)

ـ السلام على المرثي :

ختم الشريف المرتضى قصيدته الرثائية في عميد الجيوسي أبو علي بالسلام على المرثي قائلا :

وعليـــك مـــن مـــاضٍ ســـلامُ مـــودِّعٍ ويقـــلّ إهـــدائي إليـــك ســـلاما
(٢: ٤٣٨)

ـ الانتقام من أعداء الإمام الحسين (عليه السلام) :

قال في خاتمة قصيدة له في رثاء الإمام الحسين (عليه السلام) :

ويثـــأرُ مـــنكم ثـــائرٌ طـــال مطلُـــهُ وقـــد تُظفـــر الأيّـــام مـــن لـــيس يَظفـــرُ
(١: ٤٧٥)

مشيرا إلى أنه بظهور الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه) سيتم الإنتقام من الأعداء ويثأر للإمام الحسين وأهل بيته (عليهم السلام) .

ـ بيان أن العالم باق طوال العصور:

قال في رثاء العالم الجليل أبا إسحاق الصابي الذي كانت بينه وبين الشريف المرتضى ألفة كبيرة :

وإذا مضـــيتَ وفيـــك فضـــلٌ بـــاهرٌ فـــيمنْ نســـلتَ فأنـــتَ حـــيٌّ بـــاقِ
(٢: ٢٠٩)

الخاتمة والإستنتاجات :

من أهم ما توصلنا إليه بعد عرض للكثير من القصائد الرثائية لشعر الشريف المرتضى ودراسة بنية هذه القصائد ومعالجتها توصلنا الى مايأتي :

- من أهم الموضوعات والمضامين التي ذكرها الشريف المرتضى في قصائده الرثائية : بيان مقدار مايتحصل عليه من الحزن والغم لحلول المصائب عليه وشرح أسفه الشديد لفقد الأحبة ، والإشارة إلى مناقب الذين رثاهم وما كانت لهم من خصال طيبة ، والتذكير بأن الموت حق وأن كل شيء على الأرضالى فناء ، مع بيان بيان أن الموت لا مفر منه ، داعيا إلى الصبر والسلوان والرضى بما قدر الله تعالى ، طالبا الاعتبار بالموت والاتعاظ به وترك الحرص على الدنيا .
- اختصت قصائد الشريف المرتضى الرثائية في الإمام الحسين (عليه السلام) ببعض المضامين ؛ منها : إعلان يوم عاشوراء يوم مصيبة وعزاء ، مؤكدا على أن مصيبة الحسين (عليه السلام) رزية للدين والنبي محمد (صلى الله عليه وآله) ، مذكرا بما فعله أعداء الإمام الحسين (عليه السلام) من فجائع وأعمال قبيحة وشنيعة بحق الإمام وأهل بيته (عليهم السلام) ، فضلا عن التأكيد على حبه لأهل البيت (عليهم السلام) واستعداده لنصرتهم ، مشيرا إلى الإمام المهدي المنتظر (عجل الله تعالى فرجه) ودوره للأخذ بثأرالإمام الحسين وأهل بيته (عليهم السلام) .
- تسود صورة الظلمة والتغييب على النص الرثائي عند الشريف المرتضى فالليل سرمدي والشمس غائبة والنجوم غائرة .
- توفرت الوحدة في القصائد الرثائية ؛ إذ يبدأ الشاعر القصائد غالبا بأسفه وبيان شدة حزنه على المرثي مرورا ببيان صفاته وخصاله ويختمها بالدعاء له والدعاء على أعدائه .
- تكشف هذه القصائد عن عمق المشاعر والأحاسيس التي عملت على مد الصورة وإطالة بنائها .
- ساهمت ظاهرة التكرار مساهمة لافتة للنظر في إنضاج التجربة الشعرية وتكثيف أبعادها لدى الشريف المرتضى.

- كثرة الصور المتقابلة في القصائد الرثائية التي كشفت عن ثنائيات عدة تجتمع حول الموت والحياة.
- خواتيم القصائد الرثائية عند الشريف المرتضى تناسب الموضوعات والمضامين التي تشملها تلك القصائد .

قائمة المصادر والمراجع

وخير مانبتدىء به القرآن الكريم .

- إبراهيم، زكريا. (١٩٧٦م). مشكلة البنية. القاهرة: دار مصر للطباعة.
- إسماعيل، عز الدين. (١٩٧٢م). الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية. بيروت:دار الثقافة.
- الجرجاني، عبد القاهر. (١٩٩٨م). أسرار البلاغة في علم البيان. بيروت: دار الكتاب العربي.
- الخطيب البغدادي، أحمد بن علي. (د.ت). تاريخ بغداد أو مدينة السلام. بيروت: دار الكتب العلمية .
- ابن خلكان. أحمد بن محمد. (١٣٩٧ه). وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. تحقيق إحسان عباس. بيروت: دارالثقافة.
- ابن رشيق، أبو الحسن بن رشيق. (١٩٧٢م). العمدة. تح: محيي الدين عبد الحميد. بيروت: دار الجيل.
- ريتشارد، إ. أ. (د. ت). مبادئ النقد الأدبي. ترجمة وتقديم: مصطفى بدوي. القاهرة: المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر.
- سيد قطب. (١٩٩٦م). النقد الأدبي أصوله ومناهجه. بيروت: دار العربية.
- الشريف المرتضى. (١٩٨٧م) . ديوان الشريف المرتضى. حققه ورتب قوافيه وفسر ألفاظه رشيد الصفار. راجعه وترجم أعيانه: مصطفى جواد. قدم له محمدرضا الشبيبي. بيروت: المؤسسة الإسلامية للنشر.
- ابن شهر آشوب، محمد بن علي. (د.ت). مناقب آل إبي طالب. قم: المطبعة العلمية.

- الشيخ الصدوق، ابن بابويه محمد بن علي. (١٤١٧ه). الأمالي. طهران : مؤسسة البعثة.

- (١٩٦٦م). علل الشرايع. النجف: مكتبة الحيدرية.

- (١٣٩٦ه. ق). عيون أخبار الرضا (عليه السلام). طهران: منشورات كتابفروشي الإسلامية.

- الطبرسي، علي بن الحسن. (١٣٤٢). مشكاة الأنوار في غرر الأخبار. قم: دار الحديث.
- الطرابلسي، الهادي. (١٩٩٢م). تحاليل أسلوبية. تونس: دار الجنوب للنشر.
- الطوسى، محمد بن محمد. (١٣٥٦). اخلاق ناصرى. تصحيح و توضيح مجتبى مينوى و علىرضا حيدرى. چاپ ششم. تهران: خوارزمى. ﴿الأخلاق الناصرية، صححه ووضحه مجتبى مينوي و عليرضا حيدري، ط ٦، طهران: الخوارزمي﴾
- ضيف، شوقي. (د. ت). فنون الأدب العربي الفن الغنائي الرثاء. القاهرة:دار المعارف بمصر.
- عبد النور، جبور. (١٩٧٩م). المعجم الأدبي. بيروت: دار العلم للملايين.
- عياد، شكري. (١٩٦٨م). موسيقى الشعر العربي. القاهرة: د. ن.
- فضل، صلاح. (١٩٩٥م). أساليب الشعرية المعاصرة. بيروت: دار الآداب.
- قدامة بن جعفر. (د.ت). نقد الشعر. تح: كمال مصطفى. القاهرة: مطبعة الخانجي.
- قمي، الشيخ عباس. (١٣٧٨). نفس المهموم. ترجمه و تحقيق علامه ابوالحسن شعراني. قم: انتشارات ذوي القربى.
- كرستيفا، جوليا. (١٩٩١م). علم النص. ترجمة فريد الزاهي. دار توبقال للنشر ـ الدار البيضاء.
- المجلسي، محمدباقر بن محمد تقي. (١٩٨٣م). بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار (عليهم السلام). بيروت: مؤسسة الوفاء.
- ابن منظور، محمد بن مكرم. لسان العرب. ٨ج. نسقه وعلق عليه علي شيري. بيروت: دار إحياء التراث. ١٩٠٨هـ

- ياقوت الحموي. شهاب الدين. (١٩٨٠م). معجم الأدباء. ط٣. بيروت: دار الفكر.